



الطور

4

ماوراء الطبيعة

رجل يكتسب

Looloo

www.dvd4arab.com

مقدمة

لماذا تتحرك الظلال في الردهة ؟

لماذا تتحرك الظلال بالذات حين تكون شيئاً
فلقياً ، وحين تكون وحيداً ، وحين تجلس ليلاً
تكتب مذكرتك على ضوء مصباح واحد ؟

لماذا تتحرك الظلال في الردهة ، حين يكون
الصراخ غير ذي نفع ، وحين يكون الجيران قد
ناموا ، والليل نفسه قد نغمس ، ويكون الهاتف
مغطلاً كالعادة ؟

لماذا تتحرك الظلال في الردهة ، حين تكون في
غرفة مكتبك .. حيث المسبيل الوحيد للخروج من
الشقة هو الردهة ذاتها !!!

لماذا تتحرك الظلال في الردهة ، بينما أنت
- ببساطة - لا تريد ذلك ؟

كلها أسئلة بلا جواب كالعادة ..

إحدى الإجابات المحتملة أنهم قد جاعوا من أجلك .. من هم ؟ لا يهم .. فهم كلهم يتشابهون ، ويفعلون نفس الأشياء ..

إحدى الإجابات المحتملة أنك قد ضمرت شيئاً مغرماً ، وأن حياة الوحدة والانسحاب قد أصابتك بالبارتوسيا ، وهي الثمرة الوحيدة الموجودة في حديقة ذكريات من عاشوا حياتي .

إنه احتمال قوي ومريح ، ويطمئني كثيراً ..

دعوتنا من ظلال الردهة ، وللتجاهل سببها مؤقتاً .. لو أضعنا وقتنا على كل ظل يتحرك في الردهة فلن نجد وقتاً كافياً لشيء آخر ..

اليوم نلتقي و (هن - تشو - كان) الذي غاب عنا منذ الكتيب الرابع عشر^(*) .. إنه هنا معنا ،

(*) يقول إن ترتيب الكتيب (١١) والكتيب (١٢) ستعمل الأمور أفضل نوعاً ما !

ومناقشة كابوسية عن شيء ما وجدته الأمريكيون عام ١٩٣٧ .. ومعا الدكتور (رفعت إسماعيل) الكهل الذي يحاول - برغم كل شيء - أن يحتفظ بجسده كاملاً قطعة واحدة ..

هل أنتم جميعاً هنا ؟

هل عيونكم متسعة ، وأذانكم مرهقة ، وزحوسكم دافئة مني ؟

فإن .. فنهدا ..

* * *

١ - مهمة سرية جداً ..

السبت ٦ ديسمبر عام ١٩٤٦ ..

الساعة الثامنة مساءً ..

يقف (جيمس ثورنوايلد) قائد الفرقاطة
الأمريكية (إيليت) على ظهر فرقاطته ، يرمق
السماء النيرة في قلق ..

ينظر إلى ساعته .. الثامنة ؟ كل هذا الوقت
ضائع في هراء لا أول له ولا آخر ، والمفترض
أن يكونوا الآن في قلب المحيط الهادئ ، بعيداً عن
هذه الأرض التي تتلذذ بالويل في كل دقيقة ..

كانت التعليمات التي أعطيت له غامضة ، وهو يملك
التعليمات الغامضة بشكل خاص .. إنه يتحرك في
الضلام ، ولا يعرف بالضبط نوعية الخطر الذي

« عندما تقرب الشمس ، وتلمح

دماؤها ثوب المساء الأزرق ..

عندئذ يبدأ فجر (النافاري) »

يتهدد هذه الرحلة إن كان هناك حقاً خطراً ما ..
كان يعرف فقط أن للخطر باقياً ، وأن هؤلاء
الـ (جاكسون) - كما يمللون اليانكيين - راغبون
بشدة في المشقة التي يجعلها .. لماذا ؟ هل هي من
الذهب ؟ هل هي لوحات ثمينة أو قنابل نو .. ؟

لم يخبره أحد ، ولا يبدو أنهم سيخبرونه حتى
بعد انتهاء المهمة ..

صاح في (جاكسون) بمساعدته الأول :

- « هل تم كل شيء ؟ »

- « آي آي يا سيدي .. لقد نقلنا كل شيء »

إلى قاع الفرقاطة .. »

- « وهل الصنديق مؤمنة ؟ ستبقى كثيراً من

الاهتزازات .. »

- « البحارة ينتهون من ربطها يا سيدي .. »

- إذن .. قلتم فارجوا الآن .. »

وتهد في ارتياح ، وأصدر أوامره برفع المرساة
وتشغيل المحركات .. وبدأت الفرقاطة تستدير ببطء
رحلتها قرصية عبر المحيط الهادئ ..

* * *

كانت الحرب العالمية الثانية في أوج مجدها ،
وكان (هتلر) عاكفاً على تهتلac أوروبا قطعة
قطعة ، وقاذفه تهوى فوق بالوخ البريطانيين في
كل مكان .. لكن أمريكا لم تكن طرفاً في هذه
الحرب على الإطلاق .. حتى الآن ..

تقد تزوي الصلاني الأمريكي على نفسه وراء
المحيط الأطلنطي ، وسد أذنيه كي لا يسمع صوت
القنابل والصرخات ، كي لا يسمع (تشرشل)
يصيح من (بريطانيا) : لا بد أن تدخلوا الحرب !
إن دوركم آت لا محالة !

وكانت اليابان قد غزت الصين عام ١٩٣٧ ، لكن لم يحدث ما يورط الأمريكيين في الحرب ، وظل أسطولهم يمارس حياة هائلة نسبياً في المحيط الهادئ ، وفي مراكى (هاواي) و (هونولولو) الجميلة الوردية ..

لم يكن (ثورنولد) يحب اليابانيين ولا الصينيين - بالأحرى كان يشعر بالشعور منهم ، وبأن عيونهم للضيقة عيب خلقي يدل على الغباء ..

لكن للتطريعات صدرت له بأن يبدو بفرقاطته من ساحل الصين ، عند ذلك الخليج الذي تلاصق فيه حدودها حدود (منشوريا) .. وعليه أن ينتظر حتى تصل بضعة قوارب تحمل صناديق خشبية معينة .. سيكون عليه أن ينقلها إلى (هاواي) بحالة ممتازة ، وعليه ألا يفتح أي صندوق ، أو يجرب عن أية أسئلة يوجهها بحارته ..

- « أجييب ؟ » - قلها في شملزق - « أجييب

عن أي شيء بالضبط ، وأنا لا أملك أُنس تصور عن محتوى تلك الصناديق ؟ »

لكنه حين أن محتوى الصناديق شيء يريد الصينيون أن يبعثوه عن يد اليابانيين .. شيء قادم من (تشوكوتيا) قرب (بكين) ..

أخيراً - في ضوء الغروب - رأى القوارب ، ورأى بحارها الصينيين شديدي السلم والاحول ، واثنين فتك الأقوياء بصحة أكثرهم ..

وكانت الصناديق تحمل بالفعل عبارات بالصينية ، لكنه استطاع أن يقرأ اسم (تشوكوتيا) بحروف لاتينية على كل صندوق .. وكانت مغلقة بعناية ، وقد تم لفها بشرائط من (الألومنيوم) مع توزيع للشمع الأحمر بعناية لتؤكد من أن لها أن يفتح شيئاً .. وكما قلنا آنفاً ، انتهت عملية التعميل نحو

الثامنة مساءً ، واستطاع (ثورنوايك) أن يصدر
أوامره لرجاله بالإقلاع ..

* * *

وفي الثامنة من صباح اليوم التالي هجم اليابانيون
الأسطول الأمريكي في (بيرل هاربور) ..

إن من شاهدوا فيلم (تورا-تورا-تورا) يعرفون
كل تفاصيل هذا الهجوم المباغت المفكر ، البطولي
برغم كل هذا ..

إن اليابانيين بطاريهم الانتحاريين ، وطائرات
(زيرو) الشبيهة بلعب الأطفال الزنبركية ، قد
تمكنوا في ذلك اليوم من إغراق أربع قطع عسكرة
أمريكية ، وعطلوا أربعة غيرها ..

لقد تلقت الولايات المتحدة ضربة قاصمة لم
تستطع نسبتها قط ، ويمكن القول عملياً إن الحرب
بدأت وقد فقدت أسطولها ..

(*) نمر - نمر - نمر .. باليهية ..

هذه قصة طويلة ، لكن ما يعيننا منها هو
موقف الكتبتن (ثورنوايك) ورجاله حين سمعوا
الأخبار الرهيبة في تلك الصباح ..

يجب أن نقول هنا إنهم لم يعرفوا شيئاً حتى
الظهيرة ، وحين تجحوا في التقاط بعض موجات
الراديو .. لم يكن أحد يتحدث إليهم أو عنهم ..

من الواضح أن الصدمة ألقت الجميع نوازهم ،
ولبعض الوقت نسوا كل شيء عن القرطاسة
(إيليت) ..

كان شعور الرجال مريراً ، وعلى شفاههم كان
تلهزيمة مذلي كشد متوحة من مياه البحر ذتها ..
لقد فقدنا أسطولنا وخيرة بحارتنا ..

والمشكلة هي : هل نعود إلى (هاواي) أم ماذا ؟
لقد صار المحيط الهادي كله خطراً داهماً الآن ،
والأسطول الياباني يجول فيه بحرية كاملة .. حرية
البلطجي الذي لم يعد هناك من يقف في طريقه ..

ماذا لو قلبنا قلابتيون ؟ ماذا لو هوجننا بمسرب
من طائرات (زيرو) لقي بفضل طياروها الدخول
بالطائرة في قلب الهدف ، بدلاً من التصويب عليه ؟
لا جواب سوى أن نستمر فيما نفعه الآن ..

لنهر ..

* * *

كان (ثورنوايلد) منهمكاً في تفاصيل مهمته
الخطرة ..

وعندما يكون الخطر واقعاً وملموساً ، يندو
الاهتمام بتفاصيل البحارة شيئاً مترفاً لا وقت له ..
نوعاً من تهديد الطلقات في هراء ..

مثلاً حين يتحدثون عن أصوات غريبة تنبعث
من الصناديق الموجودة في قاع الفرقاطة ..

مثلاً حين يتحدثون عن الجو المشنوم الرهيب

الذي شعر به جميع ركاب الفرقاطة ، بمن فيهم
(ثورنوايلد) نفسه ..

مثلاً حين يتساقطون عن قطرات السائل الأخضر
التي تتساقط من أحد الصناديق بالذات ..

حين كانوا يثرثرون في أسوار كهذه ؛ كان القائد
يلهمهم بالصمت ، ويأمرهم بالكف عن لعب دور الدجاج
المذعور .. إن القلابتيين خطر داهم حقيقي ..
لما ما يتكلمون عنه فنوع من أحداث للنسوة
المعجز في القرى ..

وكان يدرك أن مخوياتهم في الحضيض الآن ..
قطعة من الأسطول المهزوم المحطم تحول للحاق
بزميلاتها .. لا بد أن هذا الإحباط قد لقي بنوره
السامة في مخوياتهم .. وهو على كل حال سينفذ
مهمته سواء أراوا أو لم يراوا .. لن يلقي
الصناديق في البحر استجابة لهؤلاء المطالبين ، وهم

لن يتمردوا طيعاً .. إنها قطعة من الأسطول
الأمريكي ، وليست سفينة (كريستوفر كولومبوس)
المتجهة إلى حافة العالم ..

* * *

وفي ٨ ديسمبر أعلنت الولايات المتحدة دخول
الحرب ضد اليابان .. كان هذا بناءً على ضغوط
من أعضاء الكونجرس على الرئيس الأمريكي ..

وكان هذا يوم سعد بالنسبة لـ (تشرشل) الذي
كان يتحرق في أن يضم تلك الحليف القوي ، ذا
الموارد البكر ، إلى صفه ..

لكن كان على الولايات المتحدة أن تفقد الكثير على
رقعة شطرنج المحيط الهادئ في البداية .. ورأى
الجزر تسقط تباعاً ، والقوات الأمريكية تتراجع
أمام الأتزام للصفر الذين لا يخافون الموت ..

وعند غروب شمس الثامن من ديسمبر - وهو

غروب ميكر طبعاً - هوت أولى القذائف جوار
الفرقاطة (إلينيت) ..

وحين تفحص (ثورنوايلد) الأفق ، استطاع أن
يرى ثلاث قطع من الأسطول الياباني تطارده
بسرعة تفوق سرعته ..

ولدى انفجار القذيفة الثانية ، قرر الرجل أن
الاستسلام هو الحل الوحيد بدلاً من تدمير سفينته
وإغراق رجاله في قتال لا جدوى منه ..

رفعوا العلم الأبيض ، وأرسلوا إشارات ضوئية
تعلن استسلامهم ، وبعد قليل جاء زورقان يابانيان
لنقل الرجال إلى أكبر السفن اليابانية الثلاث ..

ها هو ذا يصل إلى سطح السفينة ، ليرى قبطنها ..
يؤدي له التحية العسكرية وكذا يفعل الياباني ..
سيعرف فيما بعد أن الياباني هو الكوماندور
(ميتسو جوياما) ..

قال (ثورنوايلد) لأسره الياباني الذي كان يتكلم
بعض الإنجليزية :

« أرجو أن تعني برجالى .. إنهم جنود
شجعان .. »

قال (ميتسو جوياما) بنبرة غليظة :

« هؤلاء لم يموتوا رجالاً .. إنهم مجرد
أسرى ! »

وهو ما سمعته الجنود الأمريكيون والبريطانيون
مراراً خلال هذه الحرب .. إن الياباني يحتقر
الأسرى ويراهم جبناً .. ولو كانوا أكثر شجاعة
لفضلوا الموت على ذل الأسر .. الجندى الشجاع
لا يأسر أبداً ، لكنه ينتصر أو يموت ..

ونتيجة لهذا ، سيدرك هؤلاء الأسرى أن معاملة
اليابانيين لهم شبيهة بمعاملاتهم للحيوانات .. إن
أسرى الحلفاء لدى الألمان كانت لهم حقوق ، وكفوا
في حال لا بأس بها ، أما القنصاء الذين أسره
اليابانيون فحكايتهم تملأ الكتب ، وكلها تبعث
لترجفة في الأوصال ..

سيعرف البحارة الأمريكيون هذا وأكثر ! لكن
هذا يوم بالقضبط موضوع قصتنا .. إن ما نكلم
عنه لهو مصير الصناديق التى كانت فى قاع
الفرقاطة^{١٣} ..

للأسف ، كانت هذه آخر مرة تتحدث فيها
كتب التاريخ عن تلك الصناديق .. لكن هناك من
وجدتها .. وهناك من فتحها .. وهناك من ..
فلنرى معاً .. ولتر ما سيحدث بعد قليل ..

* * *

(*) القصة التى حكيناها فى هذا الفصل حقيقية تماماً ..

٢- (طوكيو) - (نافاراي) - أشياء أخرى ..

(هن - تشو - كان) من جديد !

هذا الفصل من حياتي ومن معارفى اشك كثيرا
فى نفسى عشته كان (نافاراي) القادم من
(التبت) والقرن السادس عشر فى عالمى .
ومعه مشاكل لا قبل لى بها

غير لى فلما احتفظت بحب واحترام لآخذ منهما
احتفظت بهذا الفنى الفحيل لصموت ، قذى بملك
من القوة النفسية ما يفوق عشرة رجال . وقد
سيطرت قوته النفسية على كل عصاة وكل عصب
فى جسده ثم إنه من القاتل الندى يعطون ثم
يقولون وليس العكس . حقيقا يفعل ولا يقول
على الإطلاق وهو بهذا يكرمنى بكلمات شاعرنا
العرى البليغة :

. بُعَث الطير أكثرها صبحاً

ولم تصح أبراه ولا الصقور

صعاف الأسد أكثرها رنبر

وأخطرها انوائى لا ترير .

(بعث الطير) هى الضعيف منها . حَفَّ لقد
كان (هن - تشو - كان) أسداً وأسداً خطيراً
لم يزل يوم ، ولما يكتفى بالوثب وتمريق
صحاباء ..

كانت تلك هى روبرتى القوية ذليلاً ربما كان
تلك عام ١٩٧٢ ولم يكن نقد احتفظت لتوربغ
فى زهى على كل حال . كنت قد فلتت بصبحى
من فنى (معى هذا نفسى واجهت الوباء) ، لكنى
لم تكن قد تنقبت قبلة (للتفصيل) بعد (معنى هذا
فنى لم تكن قد فلتت العفنى) . إن كان هذا
فى الإعراب الثلاثة الأولى من السبعينات

لماذا الياباني يذات ؟ لا أفكر السبب ربما كان
موتراً ما لتضامن الشعوب ، والحظ من التسليح
النووي .. إذن لابد أنه كان في الساعات من
أغسطس ذكرى قبلة (هروشيما) الشهيرة
ونوري كان - بالطبع - ضمن الجانب الطبي
للمؤتمر ، لأن القنابل الذرية تسبب سرطان الدم
كما نعلم ..

كنت أقدم في (طوكيو) و (طوكيو) هي
العاصمة طيفاً ، وكان تعدادها عشرة ملايين
في ذلك الوقت ، وكان هذا كافياً لجعلها عاصمة
شديدة الإزعاج ، الفكرة هنا هي أن مساحة
اليابان صغيرة جداً ..

إن (طوكيو) مدينة عجيبة متنوعة الأوجه ؛

(* كلمة (طوكيو) معناها عاصمة قسري وقد صارت

العاصمة من عام ١٨٦٨ م

تلة تجدها غريبة جداً مليئة بتضاريس المسطح
والمرکز التجارية ودور الترفيه .. يكفي أن تجوب
شوارعها لئلا تتعجب بـ (ذبول الأصواء) الشهير ؛
وتلة هي تلك القبة القلبي التي يتعرق بمعلبه وأصوات
أمراله وبيوته للمرحفة الجميلة .

كل شيء جميل نظيف في اليابان ما عدا
الطعام ؛ وطعمهم لا يطلق حفا . إنه تلك المزيج
الكرية من السمك اللين والأعشاب البحرية التي
لا تختلف عن البرسيم كثيراً كل هذا غارق في
صلصة فول الصويا هل هناك شيء في العالم
اسمه (صلصة فول الصويا) ؟

وعليك أن تحب هذا كله ، وأن تبتسم وتتأمل
والا اعتبروك قليل التهذيب ..

ما علينا . المهم هنا هو أنني فلتت (هن - تشو -
كان) شخصياً ، وفي (طوكيو) ذاتها كيف ؟
سأحكي كل شيء ..

* * *

لم تكن للمراسلات قد تقطعت بينى وبين
القنسى ، خاصة فى الاعوام الاخيرة

كان يتطور باستمرار ، وصار يبنى لهذا
العصر بقوة ، كما أن إنجليزيتته صارت على
مديون بل وصيبنه أيضاً فهو - كما تعرفون -
كان قد قرر الإقامة فى الصين دائماً - إنه ليس
صينياً ، ومثل يعتبر الصينيين أولئك الخرافة الذين
احتلوا (التبت) - وطنه - وغرروا علاقته وتقليده ،
وأرغموا (الدلاى لاما) على الهرب إلى الهند
لكن الزمن يتغير ، وقد صار من المحال أن يعود
(التبت) كما كان - بهذا اندماج مع الصينيين ،
وبشكل لا ألهمه استنطاق الحصول على الجنسية
الصينية

وكانت آخر أخباره هى اتصانه للفريق من
علماء الخطريات فى (منشوريا) فى الشمال الشرقى
لصين - إلى ما قام به (هن - تشو - كان) فى
حملة رجس للجلود قد رفعت من أسهمه لدى

الصينيين - ولأسباب عديدة وجدوا أنه مناسب
للمشاركة فى المحادثات فى التبت فى البكر ،
وما لكثير التبت فى البكر فى الصين !

بعد هذا قال لى به داهب إلى قديم فى مهمة
معية لها طابع دراسى ، ولم ألهم لكس أخبارته
لنسى سلكون فى (طوكيو) فى (أغسطس)
القدام - قال إنه سيحسون الاتصال بى

وتسيت كل شيء عن الموضوع كالمادة ، حتى
فوجئت بمن يتصل بى فى فندق (داليس) بحى
(اسك) ، وهو فندق فخر له طابع غربى ،
كنت ألهم به على حساب الموممر طبعاً

وكان يتحدث خليط من الإنجليزية والعربية
لنى صار يعرفها جيداً كما يعلم القارئ
- « وكيف عرفت لنى هـ بالذات ؟ »

قال بطريقته المعتصبة العروف عن التفخر

« سكرتارية المؤتمر . فقلوا لي إن البروفيسور
(إسماعيل) في فندق (دلفتشي) . »

ويؤيد المزيد من التحريات وعبارات المعاملة
قال .

« هناك مطعم اسمه (سويهر) قرب
الفسق .. هل تعرفه ؟ »

« نعم . »

« إذن فلنلتق هناك بعد ساعة . »

ولهذا تجدونني جالماً على ركبتي في هذا المطعم ،
حاضري القميص طبعاً ، نشرب الشاي المر من
سلطانية خزفية صغيرة .. تجلس أمامي مضطجعة
بهاتين ترتديان (الكمونو) وتنتظران لولمي

لست من هؤلاء الذين يجنون راحتهم
أو يستطيرون لي يأكلوا بينما هناك من يراقبهم .
إن الطعام ينزل باسم في جوفى وقتها ، لكنها
التقاليد البلاطية التي لا تتزعزع

أخيراً جاء (هن - تشو - كان) في موعده

كان قد تغير كثيراً . من الصبي الذي نخصبه كحفا
من (التبت) من القرن السادس عشر لو ظلت
رأسي . إنه يرتدي بذلة دقيقة ويضع عوينات
بلا إطار ، ويحمل حقيبة أوراق صغيرة . كل شيء
يوحى برجال أعمال من (هونغ كونج) جاء ليحري
سلطة ما هنا إن الاسويين يتسلمون بالنسبة
لنا مضر العرب ، لكن لو كان لك أن منظر (هن -
تشو - كان) كان يختلف تماماً عن كل يبقني
هنا الجميع يعرف أنه صيني مثملاً تميز عيونهم
الفيتشي من الكوري من الكمبودي .. ولا أرى كيف .

« (ريلالاث) لقد تغيرت كثيراً ! »

وشفت بعض الشاي الكريه ، وقت في ملل :
« نعم - نعم - زللت قبحاً وشيخوخة ..
هذا ما يقوله كل من يراقني بعد قطع لسبعين ..
ماذا تفعل هنا ؟ »

- «جه (البيرنيس) ثمة امور كللتني بإياها
الحكومة الصينية»

وجاء لنخل فوضع أمامها عشرات الأكواب
قملأى بالسوائل الحمراء والخصراء والزرقاء ،
والأرز المعجون ، والسمك النقي ثم أعطوا
كلاما عسويين على سهول للتعريب
قال (هن - تشو - كان) وهو يتناول أحد
الأكواب الحمراء .

- «صساء أم الخلول ' هذا يوم سعيد !»

- «صساء أم الفد .. ١٢»

وتقصت أحشائي ، كعادتي منذ جئت إلى
اليابان

وهذا رحت أصغي إليه وهو يتكلم - بدرجة كعفته -
ويحكى لي أحداث حياته في الاتوام السابقة



كان قد حضر كثير من المصورين معه كانت من
(النساء) من المعروف السادس عشر من طلب راي

لم يكن هناك الكثير - كما قلنا - لقد عشت صموداً
مبعولاً نقيباً عن الحياة الاجتماعية .. مارس
تمويست (الفلزاي) بانتظام ، وقرأ كثيراً في كتب
(شوكرا) ، وارتحل إلى (البيت) مرتين أو ثلاثاً
بحثاً عن مزيد من آثار (الفلزاي)

طبعاً لم أومن من طعامي إلا بعض الأعواد
الخصراء ؛ أما هو فاكل بشهية من ثم ينق حساء
أم الخلول من قبل ..

لاحظت إحدى اللغتين كثيراً أن أومن طعامي كما
هو واضح ، فكنمت لي مشقة مبتلة كي أسمع
أناطلي ، ثم اتحت والتمعت أصدقاها ، وترأعت
إلى الوراء على ركبتيها . نكروني أن أجد زوجة
بالتوبة لو تصح الوقت ، فمن الواضح كهن
زوجات مثليات ..

ساد الصمت قليلاً ، ثم تباطلت سرعة (هن -

تسو - كن) في المصغ فركت أنه يفكر في
عمق ..

قال لي وهو يفش عن شيء في جيب سترته :
« (ريفات) أنا مسرور للغاية لكوني قبلتك
وأين ؟ في هذا الركن من العالم . كنت بحاجة
إلى من أتك به كما تعلم »
« ألهم .. ألهم .. »

أخرج مقسوف كبيراً مغلفاً بإحكام ،
وقال لي :

« خذ هذا ولا تفتحه .. لا تفتحه إلا إذا لم
تصل بك خلال أسبوع أنا أعرف أنك مؤتمن »
والحقيقة ليست كوني مؤتمناً . بل كوني غير
مهتم على الإطلاق بأسرار هذا الفتى لو شاء
أن يقولها فليقلها ، لكنني لن أجهد ذهني لحظة
ولعدة في التنقيب عنها .

« هل هو أمر خطير ؟ »

« ربما نعم وربما لا . متعرف على شيء
خلال أسبوع .. »

ونظر حوله في حذر ، وواصل اتهام السمك
التيين بصوربه

سألته في حذر مماثل :

« إلى أين أنت ذاهب بالضبط ؟ »

« إلى أحد معبد (الشنتو) في ضواحي
المدينة^(١) . ثمة شيء أبحث عنه ، فلو وجدته
لأنتهى الأمر . لكني أمل ألا أجده . »

ثم بحث عن تعبير مناسب لثقافته (التبتية)
فقال :

(١) (شنتو) هي الديانة التقليدية في اليابان . يوفد عبدة
الشمس وتلاميذ الإمبراطور إلى فيها بحدائق البوذية . ومما
لا يقل أهمية عن ذلك :

« أن يتسلل القنبر إلى دارك هذا خطر

لكن عثورك عليه لن يقتل الخطر ! »

حاولت فهم هذا التعبير الشعري فلم أستطع
سألته :

« هل أنت ذاهب للبحث عن نمر في
ذلك المعبد ؟ »

« ربما . لكني لا أمل أن أجده ! »

ونشر اللغزاة فهرعت إليه بالمشطاة المبللة
أيها . جفف شفتيه ثم بهض قليلاً .

« وداعاً أيها الصديق . سأتصل بك ،
وإلا فلا تمن المظروب الذي منك . »

وخرج من المطعم يبحث عن حدائقه

* * *

٣- ذيل القصر ..

طبعاً مر الأسبوع ولم يتصل بي (هن -
تشو - كان) ..

ظننت هذا مذهباً للغرائ ، وإلا ما وجدت
القصة فضلاً ..

وهكذا جاء اليوم الذي بحثت فيه في جيب
سترتي حتى وجدت المظروف إياد ، وقدرت أن
أفتحها . لست - كما قلت - مهتماً بالأمر ، لكنني
لعب أن أكره بوعودي هذه من مرابي القليلة ،
أو لعلها ميزتي للوحيدة اليتيمة .

* * *

كان الخطاب بـ (جلايرية رديئة جداً ، كالتي

تقرأها اليوم في نشرات الأجهزة الإلكترونية
المصنوعة في الصين .. يقول الكاهن الأخير

- « عزيزي (رفعت) :

« آسف لإحلك في هذا كله . ولما أعرف أنك
صفت نزعاً بمشكلكي ، لكني لا أعرف شخصاً آخر
أهلاً للنقطة في (هونشو) »

« حين تقرأ هذا الخطاب ، ستكون طاباً في خطر
داهم . عليك أن تستقل سيارة أجرة إلى العنوان
التالي () وتسل عن (تلكجي-سان) .
لوفيلته إحد له قصتي ، وإن لم تجده عليك
أن تكتب القصة كلها وترسلها إلى ()

« ليست للمهمة شائقة كما ترى ، وبعدها
يمكنك أن تواصل الاستمتاع بمساحتك هنا

بإخلاص : هن - تشو »

(*) تلعب (طوكيو) في جزيرة (هونشو) ، وهذه الجزيرة
تضم أهم المدن اليابانية حفاً

كان الخطاب غامضاً ، وله ذلك الطابع السامى
الذى يذكرنى بقصص التنجس . ترى ما الذى
يحاول الفتى أن يورطنى فيه بالضبط ؟ ما بخلنا
بعلاقات الصينيين واليهوديين المتشبكة المنيعة
بالشك وسوء النية ؟ إن فكرة بين الضمير
عميقة الجذور منذ بدايت هذا القرن ، وقد
ازدادت سوءاً بعد الحرب العالمية الأخيرة

ترى ما الذى نلظه بالضبط يا (من - تشو - كى) ؟

* * *

ولكن لم تكن لى حيلة ما

فى ثمانية مساء ركبت سيارة لجرة ، وبصوت
بائعة نجحت لى لى أشرح للمرافق وجهتى إتهم
لا يقبلون الكلام بالإنجليزية ويتظاهرون بعدم الفهم ،
ثم إن نطقهم للحروف يختلف عن نطقنا تماماً .
أصف لهذا أن شوارع (طوكيو) بلا اسم ؟ نعم .

نقد ظلت هكذا طويلاً حتى جاء الأمريكيون وأطلقوا
عليها ألقاباً لكن اليقطين ظلوا يسمون الشوارع
بأسماء على غرار (الشارع لى فى أوله المطعم
وأخره المقعد) وهى - كما ترى - ليست بالطريقة
المنطقية التى تنفذ السطح من الصباغ !

أخيراً وجدت العنوان المقصود

كان بيتا يابانياً تقليدياً من طابق واحد ، على
بابه فتوس جميل مزخرف يضر المدخل بالوان
لا يأس بها الجدران خشبية كالعادة ، وذلك
الطابع العام من (الهشاشة) الجديرة بشعب
اعتاد الرلازل وصارت جزءاً من حياته

نقلت الجرس ففتحت لى الباب عجزت معجزة
يبدو أنها شبه كلفة كذلك ، فقلت ضاعطاً على
مقاطع كلمتى :

« (تكرجى - سنان) ! »

انصرفت لي المجال كي اخل ، فنزعت خذائي ،
 وديست قدمي في قهقبا زلق موصوع هناك ،
 ودخلت إلى غرفة صغيرة لها جدران من الورق
 المزخرف .. وكان هناك موائد صغير مما يصل
 بالفحم - يسمونه (هيشي) - وضع عليه برء
 شاي ، وثلة منضدة صغيرة على الأرض فوق
 حصيرة ركعت على ركبتي وجلست أنتظر في
 جو صامت مريب ..

لو كان هذا قبلما سينمالي الفلسوف يبرز لي
 الان عشرة من لاعبي الكرتيه المحترفين ،
 ويحطونني علة لم ا مثلها قط . لصن الحظ لي
 هذا ليس قبلما سينمالي . لو لقدغ الله (تعالى)
 الا يكون كذلك ..

بعد دقائق برز لي (توكوجي - سبي)
 كن يلقب كما اعتدنا ان نخويل القلابيين حقا

قصير القامة أصفر اللون هزيلاً . له
 لسان لرنب تبرز من فوق شفته السفلي ،
 وعيونات غليظة توهي بالبلافة ، وكان يحنس
 في تلق ويقلقه دون داع .. وكان يرتدي ثيابا
 غريبة قبيحة إلى حد ما .

قلت له بالإنجليزية داعيا الله ان يلفهما :

- « لنا صديق ل (هن - تلو - كاس) . »

هز رأسه في ذكاء ، وقلمت استاته :

- « آه آه ! سونمكا ! »

وهو ما يساوي عندنا قولك (هكذا إن ٢)

قلت له :

- « قل لي إن على الاتصال بك لو انقطعت

لخباره أكثر من أسبوع . »

تردعت ابتسامته بشرقا :

« آه آه ! سويسكا ! »

« قال بن علي لو وجدتك أن أقفل لك هذه القصة وحققتني لا أفرى ما هي بالضبط . »

« آه آه ! سويسكا ! هاها ! »

« لا أعرف سوى أنه كان ذاهبا في مهمة في معهد ما .. كان يبحث عن نمر يأكل الأبقار »

« آه ! سويسكا ! »

أخيرا تكلم بعد ما بدأت قصاعل عن كونه بجيد إجسرية ، أو بجيد الكلام أسلما قال بصوت غليظ خارج من معدته

« الواقع يا سيد .. »

« (رفعت إسماعيل) »

« الواقع يا سيد (إسماعيل) أن لدى (هن - تشو - كن) من الأسهل ما يحطه لا يرغب

في أن يشاهد معي ، أو يعرف أنه جاء ديري ديك من أنه يخشى أن يكون هتلي مراقب . إنه يبلغ طبعاً لأنه لا هتف لدى أصلاً لهذا لشكره على هذه الرسالة ، ولموف يكون من دواعي سروري البالغة أن تشرف شخصي للمواضع برسارة ثقية في مثل هذا الموعد غدا ثمة بعض أشياء أرغب في أن أعطيك إيها »

وصب لي بعض الشاي الأخضر العر في شيء يشبه المبهضة ، ولولتي إياه كما قدم لي طبقا علينا بـ (الكاجو) ..

قلت له وأنا أضع وأتمظ :

« الحظيفة هي أنني لا أعرف على الإطلاق ما يدور هنا ، وكنت أفصل لو تركتموني وشأني إن لم يكن في هذا ضرر بالغ لأحد »

تسعت لتسامته أكثر فأكثر ، ولتمعت نظرة

قاسية من وراء رجاء العربات لتقليد وهو يقول :

« لأصعب يا سيدي .. إن الإمساك بنيل القمر
قد يكون سهلاً ، لكن تركه مسألة أخرى ! »

يا للقمر ! منذ جئت إلى اليابان وأنا لا أسمع
إلا عن القمر .. لكن هذا القمر صيني على كل
حال ، ومعاها قريب من (دخول الصين ليس
كخروج منه) ..

كنت أقول له إنني غير ملتزم بشيء ، لكني أحججت
إن لي التزامي نحو (هن - تشو - كان) على كل
حال . وهو قالها لو لم يتصل خلال أسبوع فهو
في مأزق وأنا لن أتركه صديقاً في مأزق

وهكذا غفرت البيت مبهل الأفكار . كنت الأمطار
تلهم في خفة باعثة نوعاً من البرد المصعب في
أوصالك . وقررت أن أُنشئ قبلاً قبل أن أستوقف
سيارة أجرة .. فأبحاجة إلى ترتيب أفكارى .

هواء الليل المتعش المنصول . أمطار في
أعظمي ؟ إن ألقم جو هذه الجزر أبداً - (هن -
تشو - كان) في مأزق .. الحل في يد (توكيجي)
لو - على الأقل - يجب أن يعرف .. (توكيجي) يريد
إعطائي أشياء معينة فما هي ؟

والها من لفاز الكنى سائل ما يطلب مني على
كل حال .. إن أكثر من الأسئلة ولكني بهمسطة
سأهب نور المعاي . المعاي الذي لا يسأل كثيراً

* * *

نيل القمر في يدي . فكيف أتركه ؟

* * *

في الثامنة من مساء اليوم التالي ، وبعد ما
فعلت رأسي بثرثرة المؤتمر حتى صارت أية
حركة لي تسكب الحروف من أنفسي ؛ نزلت من
سيارة الأجرة ونقذت المعلق الانتحري لأجره .

كان عجوزاً، ومن المؤكد أنه - ككل سائق
التاكسي في (طوكيو) - كل من (الكاميكازي) .
لذلك الانتحاريين الذين كانوا يركبون الطوربيد
ويهدفون به نحو المنعمرات الأمريكية . كل
هؤلاء صاروا بعد الحرب سائقى تاكسي ، لكنهم
لم يتخووا عن عادة قتل الزبائن

وقلت على الباب وقرعت الجرس

لا إجابة . لم نك العجوز بعد . قرعت من
جديد بلا جدوى ..

الباب مفتوح . هل أدخل ؟

طبعاً دخلت . وفي هذه المرة فطنتها بحذائي
لأننى شعرت بكنى بحاجة إلى خفة الحركة لمسهب
لاكرية ..

كانت المتضدة إياها والموقد إياه ، والتصيرة .
كل هذه الأشياء كانت موجودة .. لكن الجدران

الورقية كانت ممزقة في أكثر من موضع ،
وكانت هناك آثار قوسى لا بأس بها لهذا .

غريب هذا !

أقسم إن هذا المكان شهد معركة عنيفة نوعاً

واصلت البحث . وبصوت متردد ناديت

- « تاكسي - سنان » -

لم يكن من رة ..

وبدأ قلبى يخلق متمارعا . شئ شئ ما
على غير ما يرلم . شئ ما خطأ .

ولخيراً وجهته .. كان راقداً على ظهره ، وقد
سقطت العريشات مهشمة على بعد مستيعمرات
منه .. كان ميتاً طبفاً عرفت هذا من عينيه
المحملتين الخاليتين من التعبير ومن الجرح
البارز فى عنقه ..

نحن في اليابان بلد (المشغوراي) و(النينجا)
و (الرونيمن) .. فمن سمع عن شخص يقتل
بطريقة أخرى غير السيف ١٢

وعلى بعد أمتار وجدت العجوز ، ولم تكن أفضل
حالة ..

هذا كمين . بالتأكيد هو كمين .

وقد دخلت المصيدة بحماقتي المعتادة



وأخيراً وجدته . كان واقفا على ظهره . وقد سقطت
العويبات مهشمة على بعد متجترات منه

٤- كمين ..

أين القراص (القنبروجنميرين) ؟

إن قلبي موشك على ..

* * *

أخيراً بدأ الألم يزول من صدري ، وبدأ الصداق
وقدوار يزول من رأسي ، وهما دمية (قنبروجنميرين)
لمن يمسسه تحت لسانه ، لو قل إنها ضريبة
النجاة من الهم الدنيئة ..

يجب أن أخرج من هنا حالاً يجب

وغادرت الدار مسرعاً ، ومن بعيد لاحظت ضوء
سيارة لجرة قلشرت لها ، ووثبتت دخلتها قبل أن
تتوقف تماماً . قلت للسائق شيئاً عن حي
(أسكا) ونظرت للوراء .

حقاً لم أخطئ كثيراً بالإسراع . هناك خيال
(سلويت) ثلاثة أشخاص يقفون في ضوء الدور ،
ويبدو أنهم كانوا يحاولون اللحاق بي لولا ظهور
سيارة الأجرة من حيث لم يحتسبوا

هل هم المكلفون بنبحي لم المكلفون بتهامس
بنبح (تكلمجي) والعجوز !؟

بالطبع الأمور دائماً هكذا وليس تخيل
الأمر عسيراً ..

لما لا أعرف بالتأكيد ما يدور من حولي ،
وهكذا فإن هناك احتمالين لا أكثر محاولة قلبي
لو محاولة توريطي ..

ولماذا ؟ لأنني أعرف أكثر مما يجب ، أو لأن
ماكان (تكلمجي) مسيطرته لي شديد الأهمية أكثر
مما يجب ..

لقد صارت هذه الأمور محفوظة من قسوتها ،
ولم يعد شيء قلداً على إثارة دهشتي .

* * *

دخلت طرقتي في الفندق ، فزعت ثيابي وركعت
على الفراش ، وضعت جهاز التلفزيون .. كانت
مذمعة حسناء تتحدث عن شيء ما ، ومن لمها
تخرج مثل النقوش بالحجر قشيشي ، لكني لم تكن
معه . وبالطبع لو ركزت لما فهمت شيئاً
يجب أن اغادر البيت سريعاً .

لا أعرف إن كان هناك من يلاحقني أم لا ..
إن كان هناك من يعرفني أم لا .. لكن فهو كله
مريب يئز بالخطر ، ورواح الجنون تقمع كل
شيء كما يقول الإنجليز ..

إن (هن - تشو - كان) لم يتصل بي ، ومن
الواضح أنه لن يفعل . أفهم ما حدث ؟ ولماذا
أفهمه ؟ كم من الأسرار تملأ الحياة بدءاً من

أهرام الجيزة وفتهاه بمقتل (كندي) .. ما الذي
موضيقه لقر جديد ؟ إن تغزو الحياة أكثر تعقيداً

لم ينته المؤتمر بعد ، لكني على كل حال ألفت
كلمتي القصيرة فيه . فلم يعد أحد يظلمني بشيء
آخر ..

وهكذا بدأت حزم حقائبي ، ثم طلبت مكتب
الاستقبال في الفندق وأخبرت الموظف أنني أعترم
فرحيل غداً . فليجد لي تذكرة على أول طائرة
ترحل غداً ..

لنسى ألفت أهواء الصلوات والمؤامرات هذه .
لقد اعتدت أن يجرى الخطر من عقم آخر .. علم
ليست له مقاييسنا المعقبة .. علم بمنحن أفراد
النساء ، أو بحوار بين المقابر ليلاً ، أو بغيره
الجنون .. هذا هو الخطر الذي أشعر بالراحة
معه ، وربما بعض الحنين .. لكن أساليب

قصبات هذه لا تمسني حتماً . وبقى لوجد فيها
بعض السوقية والابتدال
هذا بل جرس الهف ..

* * *

« من ؟ »

« د (سماعيل) أرجو أن تمضي ساعة
من وقتك .. »

كل هذا صوت رخيص ثابت يتحدث بجلولية
بإهنية الطابع لا شك فيها ساقته :

« من أنت ؟ »

« الأسماء لا تهم . نوقت بقى (يلقوا)
أو (سكامورا) فما جدوى ذلك لك ؟ »

كلام سليم منطقي . ولما نحب الأوغاد المنطقين

قال لي :

« هل يمكنك التواجد في شارع (جقزا)
بعد نصف ساعة ؟ يوجد محل علبات شهير
باسم (سكامورا) هناك تلك على
قالب ..

« هذا مفر لك ثم تعطيني سبباً واحداً
بمضى أجن شوقاً على تلك هناك . »

« إن الأمر يتعلق بصديق الصبي وبشيء
وجنته عدد من يدعى (تلكجي) هل صار
كلامي ذا معنى لك ؟ »

« صار لك هناك »

روصعت المماعة شاعراً بالتسخط طبعاً
سأذهب .. من لنا كي لا نلعل ؟

لقد عرف القوعد كيف يثير حملي الذي حصته
لا يتار ..

وهكذا - بعد ثلاثين دقيقة بالتمام - كنت أخترق

الزحام في شارع (جقزا) ، ولتقوم ذحول الأصواء
 بالمفرطة ذلك الذحول الذي يعاقبه كل قصير
 النظر ، ويمكن فهم ما أعنيه لو عرفت أن شارع
 (جقزا) هو شارع لتجاري الأهم في (طوكيو) ..
 مثله مثل شوارع (سليمان باشا) و (٢٦ يوليو)
 طرنا في القاهرة ..

كن هناك محل (ساكورا) إياه ، وقد كتب
 اسمه بحروف مضيئة لا تكف عن التوهج
 الحق أنه من الصبر أن تخطئه

وقلت على الباب منتظراً الوصول ذا الزهرة
 الحمراء ، أو الذي يحمل رغيفاً صلاتاً على عدة
 القصص ، فألا أعرفه لكن من الواضح أنه يعرفني
 جيداً ..

ولم يطل فتتظري كثيراً ، لأنني وجنته ينفو مني
 كل ضيقاً في منتصف العمر ، بدأ يلفد الشعر في
 مقدمة رأسه ، ويرتدي قميصاً مشجراً لا يناسبه .

حينئذ في تهنيت بهزة رأس ، ثم قتل :

.. د . (إسماعيل) . اعتقد أننا سنكون أكثر
 راحة لو ابتعدنا عن هذا الزحام .. »

وبدون كلمة أخرى راح يمشي طريقه وسط الناس ،
 علماً أنني بالتكيد لمشي خلفه .. كان حجمه كافياً
 لإحداث فجوة في الجماهير .. فجوة سمحت لشخص
 في حملي بأن يتمرب منها

كان مشولاً طويلاً بحق ، عبر عشرات الممرات
 الجذبية ، والأزقة الأكثفة ، التي لدعواها لزفة
 لا تساعها فقط لا لدايرتها ..

أخيراً ها نحن ذلن نقف في ذلك الزقاق العظيم
 الخالي من البشر .. حيث تتصارع قطتان على
 صندوق قمامة ..

قلت له لا هنا بعد كل هذا لمشي الذي لم أعتده

« والان اعتقد اننى سلكهم شيئا وشيئا .. »

نظر لى . وهذه المرة كان يصحك . يصحك فى صمت لكنها ضحكة وحشية لم أسترح لها كثيرا
إن الضوء الخافت يسبق على ملامحه شيطانية
لامراء فيها ..

قال شيئا ما باليهاتية . لم أفهمه طبعاً ،
لكنه كان يحمل لى رسالة بلطفة جداً . إنما لصنا
وحننا فى هذا الزقاق

وبظرت حولى بالذات نوراء فوجدت

كان هناك بلطجيس يلهيان بلطجيان من
الطراز الذى لا تصدق وجوده ما لم تراه وكفى
كلاهما يحمل خنجرًا برفاقا لثيه يسونكى البندقية .
ويوجه نحوى فى نؤدة .

الملتقى فى الموضوع هو أنه لم يكن فى الجوى
ما يوحى بالتهديد ! هؤلاء القوم لا يريدون شيئا
منى . لا يريدون سوى قتلى !

صمت وأنا أراجع للوراء :

« لحظة ! كن تمسكنى عن معلومات ما ؟ »

التمسم اليهاتى الأول فى صرولة ، وهز رأسه
نافياً .. فعماعلت :

« .. هل تريدون سرقى ؟ إن معنى بعض
العمل الذى .. »

هز رأسه من جديد نافياً ، وأشار للرجلين بمعنى
فلننته سريعا من هذا كله وتراجع للوراء كى
لا يلوث ثيابه .

وتذكرت ذلك المشهد الخالد من فيلم (الإصبع
الذهبي) . كى فكره أفلام (بوند) لكن هذا المشهد
لا يتسم بسهولة (بوند) عقيد وشجاع الليل
يوشك على تمزيق جسده إلى نصفين . يصبح
(بوند) فى الإصبع الذهبى : « لحظة ! سلككم !
كنت تتوقع منى أن أتكلم ؟ » هنا يقول الإصبع

الذهبي في ملل : « بالعكس يا ماستر (بوند) .
توقع منك أن تموت ! »

هنا - بينما أقرب الباطنيين إلى بحره خنجره
في الهواء - سمعت صوتاً محبوباً للنفس ..

* * *

من أين جاء (هن - تشو - كلن) ؟

من أين ظهر بهلي وبين الرجلين ؟

لا أدرى ولا يهمني أن أدرى . كل ما يهمني
هو أنني نجوت . بالتأكيد نجوت . ومن
جديد أسمع الإذنين الخالد الذي لم أسمع من
دهر ..

- « تشيسرايكا ! »

قالتا وهو يباعد ما بين سابقه .

- « جوتاغ سارايكا ! »

قالتا وهو يفتح ذراعيه المشدولين المتوترتين ،
ويباعد أمانه كالمروحة .

يتبادل الباطنيان النظرات أمام عرض الحياة
هذا . غير عاكسين أن هذه آخر فرصة لهما
للنجاة لو أرفقا الحياة .. لكن كل اثنين غيرة
كثيفة . يلوحان بالخنجرين ويتكلمان أكثر

هنا ينتقل (هن - تشو - كلن) إلى التحذير الثالث
والأخير :

- « كيوه سارايكا ! »

يقولها وهو يرجع رأسه للوراء بحسبهم في
قوس ..

مشكلة هؤلاء الحمقى هي أنهم يجهلون لغة
رهبان (القبت) القديمة ، ويجهلون أن الكاهن
الأخير أقرهم (احترسوا من السرايكا - سأبدأ
السرايكا - إليكم بالسرايكا) . ويعدّها انطلاقي ..

تطلق كالفهد الذي يمزق مجموعة من الأطفال ،
أو القط الذي وجد طعمه في جحر قرآن . أو

إن أصف المشهد لأنه تم بسرعة على كل
حال ، وعلى الصوم لنا قد كلفت عن الانبهار
بالمعارك التي يهزم فيها الكاهن الأخير لقل من
عشرة أشخاص ..

في النهاية رافد الأوغد الثلاثة يرفون ، وسعيد
الحظ فيهم بأن ها يصبح الفتى صبيته التقليدية
« سون هتشاه سارايكا ؟ »

ثم يجلبني من يدي لتبتعد عن هذه العبدية .

* * *

وفي غرفة الفندق رحت أنظف له جراحه ..
لم تكن جراح هذه المعركة طبعاً ، لكنها جراح
معركة سابقة لهذا .. جراح قطعية على خده وأعلى
صدره وفي ساعده الأيسر

كان مرهقاً لكنه يحتفظ كالنمر ، نشط كبوصة ..
أخيراً سألته وأت أجنس على حافة الفرائش :

« أعتقد أن بعض التفسيرات من حقي . »

قال وهو يرتدي قميصه

« لمة تفسيرات ؟ الأمور واضحة تماماً »

« يا سلام ؟؟ جئتكم في دار بابائية ، وقتلة

يحولون نهمي ، وكنت جريح . و إن الوضع
يكاد يخفقني .. »

شاعت لهتسة في تقاطيع وجهه الصلب ، وهي
شيء نادر لدى (هن - تشو - كان) خاصة وهو
لا يلهم الدعايات أصلاً . إن الصينيين دأمو
لفقهية لكن بالنسبة لهذا الفتى كان أقصى مرج
ممكناً هو رفع الحاجبين .

قال وهو يزرر قميصه :

- « أنت على حق .. لا بد من بعض
الإصلاحات .. »

- « إن الأمر يتعلق بـ .. »

ولإراح المستر ليرى ما وراءه ، وأردف

- « شيء شديد الأهمية ، شديد الأهمية
لـ .. »

وجثا على ركبتيه ليتلخص ما تحت الفراش

- « .. للصينيين إن مهمتى فى الحقيقة نوع
من صلبات المخابرات .. و .. »

وتلخص المصباح جوار فراشى ، ثم رفع يده
فى الهواء لأرى ما يحمله ..

كان جهازاً صغيراً لم يصعب لى التعرف ما هو ..

إنه ميكروفون نقرى مدموس هناك بفرض
الاتصالات طبعاً ..

قال وهو يضع الشيء على المنضدة

- « ربما كان من الخير أن نواصل كلامى فى
الهواء الطلق .. »

* * *

٥- أسطورة رجل بكين ..

« جهاز نقصت ؟ وحبوه في المصباح ؟ لن
يحترعوا أبدا مكانا خيرا من هذا ؟ دائما نفس
المكان »

« لا تنس أنك لست رجل مخبرات ، ولا تتوقع
وجود شيء كهذا لو ردت رأيي لقلت إن هذا
للمكان صالح تمام لمن لا يتوقع شرا »

كنا نجول في حديقة صغيرة من الحدائق المحيطة
بـ (طوكيو) ، ولم يكن هناك ما يربط الممكنات
تماما نكن مصواء المصاييح لا نترك ركننا مظلما
فيه ..

قال (هن - تشو - كن) وهو يواصل المشي

« هل تعرف شيئا عن رجل بكين ؟ »

« لا أعرف . أعقد أنه ذو أهمية
لثروبولوجية ما ؛ مثله مثل قسطنطين (سياترثال)
وسواه . (هومو سابينز) و (هومو إيريكثاس)
وكل هذه المصطلحات »

قال وهو ينظر حوله في حذر

« في القرن الماضي كتبت لسان التنين تلافى
رواجا هائلا في الصين إلى العطوريين يبيعونها
مطحونة لشفاء أكثر الأمراض . طبعا كانوا
يرغمون أنها أسنان تنين ، لكن الحقيقة أنها
كفت لأجزاء من عظم جندوبي متآثرة هنا وهناك ،
ولم يحاولوا قط أن يعرفوا مصدرها »

« في العلم ١٩٢٠ رجبى الجيولوجى السويدى
(تدمرسون) إلى الصين إلى (بكين) بالذات
بحثا عن ثروات معدنية »

« بدأ العمل في موضع اسمه (تشوكوتيان)
 قرب (بكين) ، وقد وجد كثيرا من هذه الأسنن
 التي بنت له مختلفة عن أية أسنان يعرفها .
 لكنه لم يكن معن يفهمون هذه الأمور جيدا .
 ولم يعرفها كثير اهتمام

« كن مما لفت نظره كذلك ، تلك الكهوف في
 الحجر الجيري كهوف عتيقة من الواضح أن
 هناك بقايا عظام مدفونة فيها

« كانت الكهوف مربية بحق ثمة عظام مهشمة
 بطرق غريبة جداً كان وحشا عسلافا هشما
 ثمة أوت من حجر الكونتر ، وهو حجر لا يوجد
 في الكهوف الجيرية ما لم يتم هذا بفعل لفاعل

« للنتيجة المنطقية هي أن هذه الكهوف كانت
 تحوى بشرا بشرا من زمن بعيد صحيح ، قبل
 أن يستقر جنودى في جبال التبت ، وقبل أن يعرف
 الصينيون أنهم صينيون »

قلت له في استمراع :

« لقد صرت بليغا أيتها الزهرة الزرقاء .
 ترى أنك تعلمت في علم اليوم بسهولة بلغة »
 لم يطق ، ولم يفهم إن كان هذا مديحا لم
 دعاية ، وقال :

« كتب (أندرسن) خلاصة ما وجده إلى رجل
 صناعة سويدي ثرى يدعى (إيلار كروجر) .
 وكان هذا الأخير يملك عمل والنقود ، فأرسل إلى
 الصين رجلاً يفهم في هذه الأمور هو د . (أوتو
 زدانسكى) ..

« وكان ما وجده (زدانسكى) مثيراً لقد كانت
 تلك العظام أدمية ، وكان بينها تلك الأسنان التي
 كان قاطرون يبيعونها على أنها أسنان تنين .. »
 تكلمت لصحتى وقت -

« بن كن الصينيون ياكلون اسنان الموتى
المطبوخة طلب للعلاج ، وهم يصيبونها اسنان
تتين ؟ »

« لا فرق هك يا (ريفت) . بن الكاسيوم
هو الكاسيوم .. »

« ما زلت أجد الفكرة مقرزة »

« عجب بأناسه بعض الزهور التي لا أعرف
اسمها بن زهور اليابانيين ممقطة مزخرفة
ككل ما هو بهتي ، وقال

« مر عني ما جاء علماء (الأنثروبولوجي)
من كل أرجاء الأرض لينقبوا هي (يكن) أغنى
في (تشوكوتيا) بلدات لم يتركوا حجرا على
حجر ويطبقوا على هذه العظام التي وجدوها
اسم (إيمان يكن) .. »

« علم ١٩٢٨ عثر الدكتور (س - باي) على
قطع بحري من فك وجمجمة ذلك الكائن

واستطاع أن يكون خلفية لا بأس بها عن حياة
ذلك المخلوق العتيق . »

سألت (هن - تشو - كن) وأنا لشر بلحيرة
« قصة لا بأس بها . لكن ما نعلم بما يحدث
لنا ؟ »

قال وهو يقدم رنتيه بهواء الليل :

« صبرا . إنك عجول كظفل أسد قطعة من
الفت المسكر »

« لفت مسكر ؟ كذا ؟ »

« سأعطي لك كل شيء »

« في عام ١٩٣٧ كن الصينيون قد تعلموا
كثير عن التنقيب في هذه البقعة من بلادهم ، ولم
كن معهم خبير أمريكي يدعى (مارك بولسون)
يبدو أنه كن الكل في الكل في تلك العنات

« هنا غزت اليابان الصين ، وبدأ خطر اليابانيين
يتهدد عمليات التنقيب هذه . هب يحدث شيء
غريب

« تصل في الظلام فرقاطة أمريكية اسمها
(إيليث) ، وفي سرية تامة يتم نقل عدد من
الصنائيق إليها ..

« ماذا كان في تلك الصنائيق ؟ لا أحد يعرف
الصينيون لم يعرفوا إلا أنها حفریات مهمة يجب
الهروب بها إلى أمريكا ، لأنها لا يجب أن تقع في
يدي اليابانيين ..

« وبعد خمسة أيام اختفى البروفيسور (دونكسون)
تماما الوحيد الذي كان يعرف الحقيقة كلها
أين ذهب ؟ متى ذهب ؟ لا أحد يعرف ..
قلت له وقد بدلت أهتم بالأمر :

« لحظة .. معنى هذا أن تلك الصنائيق لدى
الولايات المتحدة ؟ »

« لا . لقد كان حظ الأمريكيين عثرا ، ونشبت
الحرب مع اليابان بعد يومين من وضع الصنائيق
عليها . أسرهم اليابانيون في وسط المحيط الهادئ
واستولوا على الصنائيق ، ومن يومها لم يرها
ولم يسمع بها أحد . وقد توفى أكثر هؤلاء
الأمريكيين بالبحار الأعمى والملايا في معاركات
اليابانيين بالفلبين . لكن (ثوربولد) قائد الفرقاطة
قتل حيا ، وحكى القصة لبعض الصحفيين منذ
علم . كما أثر بها في بدايات الستينات »

« .. وصممت الحكومة الصينية على »

شاعت لمصلحة في تقاطيع وجهه القمسي .
وقال :

« نعم . في هذا التراث ملك للشعب الصيني
ولا بد من استرداده بأي ثمن . في تقدير خبراتهم
الأثروبولوجيين أن هذه البقايا لا يمكن تشييدها

إنها أتمن مما لو كانت من الذهب والبلاتين
بمراحل والصين مصرة على استرداد هذا
التكز .. ولسوف تفعل «

وصفك لنهية للمعنى ، فستكرنا عقدين وقت :

« - ماذا عن الدبلوماسية ؟ »

« - اليابانيون يكررون أي وجود لتلك الصناديق ،
ويؤكدون أن القرصنة كانت خفية عند أسرها «

« - وبهذا أرسلت للصينيين إلى هنا ؟ »

« - بالصبط مهمتي كانت هي البحث عن
بداية خطب يابونى إلى تلك الصناديق ولم أكن
وحدى كان هناك عصب يابونى هو (توكيجي -
سان) ومعه شبكة التي يمولها الصينيون «
وبداً يعد على قاعله :

« - أولاً كانت لدينا مفاوضات الأمريكية
(نورنويلد) ثانياً كلى عندما فقدت الياباني

واسمه (ميتسو جويك) . ثانياً كان عندما عالم
أمريكي مختلف اسمه (تونكسون) ثلاثة خطوط
يمكن البدء بها ويطلق بحث (توكيجي) ورجله
عن الثاني لا أثر له والثالث لا أثر له

« - يبدو - وهذا هو الاحتمال الأرجح - أن
(ميتسو جويك) قرر الاحتفاظ بالصناديق لنفسه ،
ولم يبلغ عنها أو أبلغ عن بعضها لقد قبل
عسلاوبا جنوداً يابانيين فموا بنقل بعض
الصناديق في سيارة معطاة إلى معبد من معبد
(تشينزو) خارج (طوكيو) ، لكنهم لا يتكروون
شيئاً عن أين أخذوها الأمر بعد كل شيء
يتحدث عن أمور وقعت منذ ثلاثين سنة «

« - وهذا هو المعبد الذي ذهبت أنت لزيارته . »

« - نعم وتقلبوا على «

« - نظفوا عليك أنت ؟ كيف ؟ هل استمتعوا
بالجيش ؟ »

- « لانكى طغلاً يا (ريفك) .. حتى (تتفاري) »
يمكن التظلم عليهم بسهولة . خاصة حين تهوى
شبكة صيد من سقف فوقك ، وحين يفرس أحدهم
حقتة منومة في ظهرك وانت تحاول التملص
لقد كان هؤلاء القوم ينظروننى «

- « لكك استطعت الهرب هذا واضح »
هر رأسه فى ثقة وغمغم

- « إنهم حمقى حين يتظلم على كاهن
(ناغازى) وتلقده ، فلا تستعمل الجبال وتترك
خمسة رجال فقط لمراسته »
بدأت خيوط القصة تتضح لى

ثمة - بالناكيد - عصابة بابائية ما ترغب فى
سبق للصينيين إلى تلك القبايا ، وهى تعرف كل
شئ عن مهمة (هن - تشو - كان) وعن
(تاكيجى) ثم عرفت كل شئ عن على حين
زرت (تاكيجى) ..

سألته آخر سؤال عندى .

- « وكيف وجنتى لحظة الحصار الذى كد
ينهى لمرى ؟ »

قطب جبينه والتمعت فى عينيه تلك النظرة
الغريبة :

- « كنت متجهاً للفندق حين شعرت بأنك
قريب عرفت بأنها أنك قريب . لقد تشاربت
روحنا لفترة لا بأس بها ، وما زال بوسمى
أن أشم رائحة روحك على بعد أميال »

- « تعبر شاعرى لكه أقرب إلى الحديث
عن رائحة الجوارب لا الأرواح . إن الأرواح
لا رائحة لها يا بى .. »

- « إن لها رائحة لكنها لا تشم بالأكوف ، ولكن
تشم بأرواح دقيقة عنها . لقد عرفت لك قريب ،
ويحنت كثيراً حتى وجدت مع تلك الوبقى تشقان
لزعلم .. عرفت ما سيحدث . وعرفت كيف أُنعه . »

كنا قد وصلنا من جديد لنهائية المعشى فى
الحديقة ، وبدأ لى لنا سلفى قليل جنة وذهابنا
هناك ، فعرصت على الفنى أن نجلس فى أى
مقهى من هؤلاء المطردين لن يجنوا وقتنا
لزرع أجهزة تنصت فى كل مكان (طوكيو)
على كل حال ..

اخترت مقهى على الجانب الآخر من الشارع ،
وطلبت بعض الشاي الأخضر المر كقاعدة وكذا
فعل (هن - تشو - كان) لكل من حولت
بشرب الساكنى الساخن ، لكنى طبعاً لا أقرب
الخمر وكذا الفنى ..

تذكرت سوا لا مهم آخر ، فقلت

- « ما الذى كان (تانجى) سيطلبه لى
فى موعدها ؟ »

- « لا أرى إن من فله أخذ شيء بالتأكيد »

- « ولماذا حاولوا قتل ؟ ما داموا يعرفون
فنى لم آخذ شيئاً .. »

- « ربما هم لا يعرفون مدى ما تعرفه
ولأسباب كهذه لموا جهاز تنصت فى جدرانك
لقد حاولوا معرفة حجم مطومساتك ، ثم لزموا
التحسس منك على سبيل الاختبأ بالأحوط »

قضيت بعض السكوت الجانب كانت له
نكهة كريمة (سمكية) بشكل ما ، وعرفت أنه
بالتركيد بسكوت سمك كل شيء فى اليابان
يدخل فيه السمك ربما حتى العصير بلسمه
وصعت القطعة فى طبقها مشتملاً وسألت

- « (هن - تشو) ما رلت لا أفهم القيمة
الحقيقية لرجل (بكين) هذا إنه شخص ما
عثر فى الماضى ومات فب أهميته إلى هذا
الحذ ؟ »

* * *

قال الثاني :

« است علماً فثروبولوجياً : لكن قيمة رجل
(بكين) تأتي أولاً من كون كل بقعاء قد اغتقت
وسط يرون الحرب الأخيرة . لقد رسمه كثيرون
وصوره كثيرون ، لكن الحقيقة الحقيقية قد
تلاشت . هذا نقل آخر من العزّ لتكون مثل
(أطلنطس) و (ليموريا) وشهاب (تونجوسكا) .
هذه نقطة .

« النقطة الثانية هي أنه الدليل الوحيد على
وجود حياة بشرية قرب (بكين) منذ نصف
مليون سنة .

« إن مختلفاته الموجودة ، وأدواته ، وبقياتها
الحيوانات التي كان يأكلها ، كلها أقل لا تقدر
بشئ بالنسبة للطعام . العلماء الذين يعتقد عدد
منهم أن موضوع (إنسان بكين) مجرد لكتوبية
علمية محبوكة .. »



النقطة الثانية هي أنه الدليل الوحيد على وجود حياة
بشرية قرب (بكين) منذ نصف مليون سنة .

وليتبع ريقه وأردف بعد تفكير

« ثمة نمر معين يحيط بهذه الصنديق .. لا أقرى
ما هو لكن للفائد الأمريكى حكى عن أشياء
رهيبية أشياء لا أستيق حرفاً منها لأنى
لو صدقت لحرمت حقائقى وعنت إلى (التثبت)
حالاً ! »

* * *

٦ - ليلة هادئة جداً ..

لم يكن له اسم ..

إنه يعرف نفسه والآخرين يعرفونه إنه
هو فما جنوى الأسماء إذن ؟

كان الجو بارداً فى تلك الليلة بالذات ، والجليد
ينهمر بالخارج صاعداً طبقة فوق طبقة من الثلج
الابيض القاعم ..

لا عجب فنحن فى العصر الذى سيطلقون
عليه يوماً اسم عصر الجليد . لكنه ليس عصر
الجليد بالصبط بل هى إحدى فترات الدماء التى
تفصل عصور الجليد عن بعضها فترة دوين
الثلوج ، وفصل الأكليل ، واخصر الر السهول .

الطافس - يرغم هذا - مازال لا يطيق بالنسبة
للشرب

دخل الكهف حيث كان الآخرون يتكثرون
بالقراء ، ويجلسون متلاصقين في ركن المكس .
كانوا يرتجفون ، وخاصة تلك الكائنات الصغيرة
العارية التي تشرب ولا تأكل اللحم . لقي بالصيد
على الأرض وينظر حوله
يجب إشعال النار ..

فقط بالنار ستزيل هذا الجليد القاتل الذي يجمد
أعصابهم ..

بحث عن قطعتي من الحجر الأملس الخالص
الذي وجدته في قنهر ، وجلب ثلاث قطع من
الخشب كومي فوق بعضها ، ثم راح يضرب
الحجرين ببعضهما منتظرا الشرارة الممنعة
التي ستبدأ النار ..

وجوههم دقيقة منه . تومقه في توحش
وشغب ..

بعضهم يصدر من حلقه أصوات الرصاص .
أخيرا توجهت النار ، وبدأ الخشب ينتهب
التيحان يتصاعد الدخان بدلاً المكان
ثمة كائن صغير يحاول الإمساك بالزهرة
للحمراء ، لكنه يضربه بقوة على وجهه . هذه
الزهرة تقتل . لقد رآها تلعب ذلك كثيراً
ينظر حوله بحثاً عن الذئب الذي قتله اليوم

إن لحمه ليس شهياً ، لكن الصيد قد صبر
تخراً هذه الأيام ، وما باليد حيلة . لو اختار
الفضل لولا أو غزالاً ..

أعطوه جثة الذئب ، فأمسك بقطعة الحجر
الصوان العادة .. كان قد حصل عليها من القنهر ،
فهو تعلم من زمن طويل أن أحجار هذه الكهوف

الجبرية لا تصلح للقتال ، ولا تصلح للتمزيق

لقد راح يشذبها بعناية بالمستصال حجر آخر ،
حتى صارت لها حالة حادة نافعة

بهذه السكين البدائية شق لحشاء الذئب
وسلخه ثم بدأ يمزق لجزائه بظاية .

حاول أحدهم أن يمسق قطعة ، لكنه وجه له
ضربة عاتية في بطنه وصاح منزعجاً واستدبر
ليجد واحداً آخر قد نفر وجهه في نعم الذئب ،
وراح يحاول اقتزاع قطعة بالسيف ، فهوى فوق
رأسه بقبضته ..

إنه الأقوى إنه الأعلى وهو من ياكل
أولاً ..

كن راضٍ في وضع اللحم على النار لقد ذلق
مئة فترة لحم تلك الذئب الذي ضربته بالصاعقة ،
وكان شهياً برغم أنه كان خائب من النداء

كن راضياً في إعلاء فكرة ، لكن الآخرين
ماتوا لوتركوا اللحم على النار حتى يصبغ
لا بد من قتلهم الذئب حالاً

أمسك بالقرء الدامى وقذفه لواحده إنه
يصلح كي تلع فيه كالنفا الصغرى العاري الذي
يرتجف ..

ثم إنه أمسك بكبد الذئب وقصم منه قصبة
كبيرة ، ليعطى عن شجاعته وأتونه للجميع .
ها هو ذا يستمدحها من كبد الذئب التي تصم
شراسته كلها .

ولنفسه مرق قطعة كبيرة من اللحم وبدأ
يهش فيها ، وترك الباقي يضطربون على
الجنة . يصريون بعضهم ويخمشون الوجوه

وبعد ثوبن كان كل واحد قد حمل غنيمة إلى
موضع في الكهف ، وراح يلتهمها بسرعة ، وعلاء

تدوران حوله كالمنجذون كي لا يباعته أحد من
الخلف ويلقوا بها ..

كان الجليد ينهمر بغرارة في الخارج ، وقد
صار مدخل الكهف مطلقا إلى منتهىه هذا
خطر صحيح في الدببة ان تجيء هذه قليلة
- وزيارة الدببة ليست بالتأكد تجربة محبة - لكنهم
يفهمون بأن يصعدوا ليجنوا أنهم مسجونون
تماما هذا خطر كالديبة تماما أو أسوأ

حمل قطعة كبيرة من الصوان ، وراح - ومعه
آخرون - يحاولون أن يوسعوا الفتحة قليلا ، ولأن
يصعدوا مدخلا للباب ..

سيكون عليهم أن يكرروا هذه عملية العاصفة ،
وحتى تنتهي عندها يمكنهم فتح مدخل الكهف
بالتكامل ..

جلس وجلسوا حول النار يرتجفون

إن قراء الدببة لم يعد كافيا لجلب الدماء إلى
أوصالهم ..

ويعد قليل لعب الدماء للقليل وامتلأ المعدة
نورا لا بأس به ، وبدأت العضلات تتمسرخ ،
والجفون تثقل .. وبدأ عدد منهم يفقد قدرته
على قبقاء جالما ..

* * *

بعد مباحة - في عرفنا - صحا على الفول ذاته

صحا على صوت التمزيق والطحن ، وسمع
صرلخهن ، وسمع عويل الكائنات الصغيرة وهي
تموت ..

في البدء حسبنا .. فقط الدببة تفكر على
هذا ..

لكن لا . لم يكن هذا أبدا

نيتة كان .

وهاب الجميع يلوحن بأسلحتهم المصنوعة من
حجر الصوان بعضها أقرب إلى الخنجر ، وبعضها
ربطت بالقش فمجنول إلى غصون الأشجار على
شكل رماح . وصوبوها نحو الفول القادم .

ثم يتساءل أحدهم من أين وكيف نقل ؟ إن
شيئا كهذا نقادر بالتأكد على الدخول حينما يريد
أينما يريد ..

صاح من الخطر ، ومن الرعب ، ومن القوحش
لدى ثر في رمة لا شيء يمنع فتنب من
الوثب على الدب مهما كان فارق القوة . إن
للغريزة أحكامها ودواعيها إنه نداء النداء
الذي لا يرد ولا يرفض .

كشر عن أسنانه القنينة التي سجدتها (لوتو
زدانسكي) يوما بعد نصف مليون سنة
وأصدر صيحة وحشية ، وتفض على الخطر

طبعاً كان هذا آخر شيء قطعه في حياته .

وواصل الرجال الهجوم وهم يعون كلنكب

تطارت بعض الرقاب والآرع وتشطر أحدهم
إلى نصفين ، لكنهم واصلوا الهجوم ، وثمة فك
سجده (دافنيس بلاك) عام ١٩٢٧ .

هذا بذت الطبيعة تلعب لعبتها ، ويدورها شركت
في المعركة ..

* * *

إن الكهف لم يخلق لتحمل كل هذا الارتظام
والصراخ والفكر والفزع

وكانوا يعرفون أن صرخة عالية قليلاً قمينة
بأن تسقط قطعة حجر من السقف . لهذا كانوا
يتجنبون الصراخ غالباً

لكن الأمر قد اختلف الآن ، وبدأ الكهف العجوز
يعن عن مسخه ، وراحت الجدران ترتج

الجدعان التي نهكتها أظنان الجند التي تركت
فوقها ..

وبدأت الأحجار تنهار تنهار في
الهدية .. ثم بجموح .. بجراة .. وصرخ الأحياء
وهم يتلقون الجلاميد فوق رؤوسهم .

والهول ذاته لفتى وسط معلبة من الانهيارات ،
واختلط صغار الجيوش بالتلج النقي بدخان قنار
الهامة . واختلط صوت الانهيار بالصراخ بنهشهم
العظيم . واختلطت رائحة النساء برائحة الرماد
برائحة القمار ..

ملحمة من الأصوات والروائح والفضائح

وفي النهاية هذا كل شيء ..

سك صمت ثقيل بالغ ..

* * *

بعد أعوام سيئوب الجند تملأ ، وتفيض الأنهار
لتسلا الكهف بطبقات (الفرين) طبقة بعد
طبقة تملأ كل ما بقي فيه من تجاويف ..

مسجد الأنهار طرقا لغرى ، وتختصر الصحارى ،
وتتصحر القباب ..

ولسوف يختلف هذا الموضع كثيرا جدا ،
جدا ..

لكن رجلاً واحداً سيجده .

هذا الرجل الأمريكي يدعى (دونلمسون)

* * *

٧- لم أعد معهم ..

نصحتني (هن - نشو - كن) وهو يفتح باب
سيارة الاجرة :

- « لا أرى من الحكمة أن تعود إلى الفندق
سيهرفون كيف يظفرون بك »

قلت ولما أركب بجوارفه :

- « إن هناك تذكرة طائرة محجورة لي ظهر غد
سأبحث عن فندق آخر القصى فيه هذه السماعات .
ولكن حقتلني .. »

- « بهذا سأأتى معك إلى الفندق ، وسوف
ننقلها معي »

شعرت بامسئال لهذا . هذه هي فائدة
(النافرأى) حقا . بوسمك في ليلة لحقة لي
تسترد حقائبك من فندق يراقبه للفتنة

وفي الطريق بينما أصواء (طوكيو) للخلاية
تصوي كعادتها : سألته

- « قلت إن هناك شيئا مضيفا يتعلق بالفندق

ولم تفصح . ما نوع هذا الشيء ؟ »

كذبت أصواء الطريق تنعكس على وجهه الصلب
الحترم . قل صامتا برهة ثم قال في حذر

- « لا شيء خارقا للعادة . أصوات مخبرات

من سافل إيج . قهراء قمند في هذه الأمور .

لكن ما يشير قلبي بحق هو نداء أجدادي »

- « أجدادك ينادون ؟ »

- « نعم . الكاهن الأكبر (سوك - سوري)

يؤرض بكثرة هذه الأيام في مناسي . وهو يكرر

بلا توقف : اجتعد أيها (الرهرة الزرقاء)

اجتعد . إن الخطر داهم براء جليبا ، كما ترى فقط

يتربص بين الأعشاب للسوتو . اجتعد . لو خذ

الحد وقيام فليس الخطر ان لم يقتلك بجحلك
مقمتا . وعنده تكون (بافراى) كما ينبغي
ان يكون .. »

« هكذا فقط ؟ بلا تفصيل ؟ »

عص شفته السفسى وقال

« هذه هي التفاصيل ذاتها وما بقى هو هباء
كثيرون الأثر ان الكاهن الأعظم كلما يتصل به
ومضى هذا الى الخطر من طرقت جديد لم اعهد من
قبل .. »

« وما هي خطتك ؟ »

« سأعود الى المعبد ، ولجدد من يتكلم
لهؤلاء القوم يعرفون خيرا منى ، ويسبقونى ببضع
خطوات .. »

ووصلنا الى الفندق ، فصعدت الى حجرتى معه ،
وبدأت لجمع حفاظى التى كنت قد حزمتهما فى

وقت مبكر من هذه الليلة ، وحرصا طبقا على
الاتبادل كلمة واحدة طيلة الوقت .

لا أعد بزرع جهاز تنصت ونحدا لهذا ولربما
وصعوا الجهاز الذى وجفته فى موضع سهل
عمدا .. من يدري ؟

* * *

فرع (هن - تشو - كان) الباب ثلاثا ، فسمعا
من يقول شيئا باليهيتية

افتتح الباب فرائت فتاة يابسية ، لكنها من
الجيل الجديد المتأمرق بإباء

بشرة بيضاء عيونان غير ضابقتين شعر
أنقر (لم هو مصبوغ ؟) .

بدا الأهل عليها حين رأته ، وتبدلت كلمات
صبيبة مهمة مع الفتى ، ثم دعنا إلى الغنول

كانت شقة غريبة الطابع مصءة جيدا ، وكان
صوء النهار قد بدأ يعمر المكان لان احدث الليل
استغرقت الليل كله ..

وفي ذلك المكان كفت هناك عرفة بابنية الطابع
تركبتها الفتاة هـ على سبين الرمرر جنودى من
الورق المطوى حصيرة على الارض من القى
بسموها (نقلى) لحاف مطوى واضح لها
كانت تالمة عليه منذ ساعة

قدم (هن - تشو - كى) نجما لالاخر

- « د (سماعيل) (اوشيمو ماجورى)
يمكن لكليك الكلام بحرية لان ثلاثت تعرف كل
شئ .. »

ثم اصاف موجهها الكلام لى (بالعربية) -

- « إنها قلقة طبع من مجيل لدارف فى هذا
الوقت نقول انك ستجلب عليها التوبال لكى
متأكد من ان احدا لا يتبع .. »

- « لا قومها كثيرا إنا نشبه مصيبتين »
- « ستكون هـ فى أمان حتى يجىء موعد
فكرتك .. »

- « ولت ؟ »

- « سأبقى هـا طبعاً ان مهمتى لم تنته
وعلى كل حال من مصلحة (اوشيمو) ألا نفق
أكثر نحن لانعرف ما قاله (ساكيجى) قبل
موته ولربما كسر بعض الأوعاد يستقلون
سيارتهم الى هـ فى هذه اللحظة بالذات ' »

وعادت الفتاة جاملة صحيفة عليها بعض الشئ
والهيكوبت والبيض الفاسد ، فوضعت كل شئ على
المصءة الصغيرة ، وقالت ما مضى (كلوا لقمة
سريعة) ، فافتترشت الأرض مع الفتى ، وبدأتا
لتكل لم يكن فى صميرى شئ من القنايب لآلى
مراحل بل بالأحرى كنت مسرورا ان

(هن - تشو - كان) يعرف كيف يعنى بنفسه ،
وقد ان لزيد على كوني مصدراً للمتعاب له . لن
أفعل شيئاً ولا أصالح لشيء إلا لآن لكون رهينة
يضطرون بها عليه عند الضرور .. أصف لهذا أن
الصراعات الصينية - اليابانية على الخطرات هي
من آخر الموضوعات التي تهمنى في هذا العلم

يبدو لي القشة تعوض وحدها ، ويبدو أنها كانت
ستخرج لصلها حين وجدنا لاسمها لهذا بدت
عليها الحيرة ماذا تصل بنا ؟

قال لها (هن - تشو - كان) شيئاً فالتصمت
لهصت إلى ركن العرفة وتناولت النخاع المطوى
لفرخته على الأرض ، وفكرت إليه .. فقل قلنى
- « يمكنك أن تتلم لو أردت سوف نوقفك
قبل الموعد بمعاة .. »

كن هذا أجمل مما كنت أحلم به . حقاً كنت

في غلبة الإرهاق وقد تلمست لوصلى كلها ،
وكأن رأسى خطيفاً يحلق وحده كاليتون . لهذا
لم أسأل لسئلة كثيرة أفرغت سلطانية قضاي
في جوفى ، ثم نسمت عوييتى في جيب البذلة
الداخلى ، وعلفتها على مسمل ما هناك ، وأعطيت
للوجود ظهري ..

صلبون جداً هؤلاء اليابانيون . جدران لغرف
من الورق بحيث يمكن تحريكها بسهولة وبلمح
البصر تكون عنك غرفتان أو ثلاث شرف
الأسرة مرقب على الأرض تطوى بمجرد الاستيقاظ
حتى لا تحتل مكاناً ، والوسائد محشوة بالأرز
كى لا تكلف مالاً .. و ..

و .. و ..

وحين صحت من النوم ، بدت لى الأمور
مختلفة نوعاً ..

لم تكن هناك جنرات ورقية .

لم يكن هناك كاهن آخر ، ولا فتاة يبلقية

لم يكن هناك شيء ..

وأبركت - بتكلى المصعد - لى هذا المكان بختلاف

بهتت مدعورا لأكرت لى جالس على مقعد
وشير جوارى نافذة تركض الأشجار فى هلع
- واحدة تلو الأخرى - من خلالها .

تلك الاهتزازات المستمرة توحى لى لى لست
فى مكان ثابت على الأرض لى هذا قطار
قطار نظيف مؤثث كأنه استراحة خاصة

(برهشت) بهنى أكثر ، فشعرت بالهوينت
توضع على لى لى الآن كتهى كل شيء بوضوح
تمام ..

لكن فى عربة قطار بالفعل - وحولى نحو

خمسة من القبايعين تقابلن وجوههم وأحلامهم ،

لكن ملامحهم لا توحى بالظبية المطلقة

كن منهم الواقف والجالس ، ومن يداعب
طفله بهنجر صغير وكان منهم من يدخن
ومن يشرب شيئا من (ترموس) صغير

ونظرت لى لى مباشرة ، فوجدت تلك
الأمريكى . مستحيل ألا يكون لأمريكى كان
شيخا فى الستين أو السبعين من عمره لكنه
بحل مقولة بدون يمتلئ وجهه بالتجاعيد
برمقى بعينين رماديتين من فوق إطار عويست
مائلة على قسبة كفه

قال بلهجة جعنتى أتأكد من أنه أمريكى (لى
القلب من الجنوب أيضا بسبب مقاطعه المقطوعة)

- « تألف على هذه الطريقة يا يروفسور »

تألف ؟ هذا ما كن يقصتنى لأفهم أنهم

الخطفوني من دار تلك الفتاة . ماذا كان اسمها ؟
كيف فعلوا هذا ومتى ؟ أين ذهب (هن - تشو -
كان) ؟ لماذا لم يحميني ؟ هل كان نومي ثقولا إلى
هذا الحد الذي ..

رباه ! الطغرة !

وبحثت في جيوبى كنت أركبى سترتى ويبدو
لهم اضطروا لهذا كي يأخذوني دون فترة قريبة
أين التلكرة ؟ هل فات الوقت ؟

قال الأمريكى ملوحاً بقصاصة ملونة في يده

« هل تبحث عن هذه ؟ »

وأشعل طرفها بمداخلة في هدوء ، وانتظر هيبه
حتى كانت تشير أن تعرق قميصه ، ثم ألقى بالقشعة
في مظافة تبغ على المنصدة أمامه

تسعت عيناي ، ويبدو أنه سمع لكبرى

فقال :



وأشعل طرفها بمداخلة في هدوء وانتظر هيبه حتى كادت
النيران تجرق الأمامه

- « لقد أكلت الفطيرة منذ ثلاث ساعات
يا برويسور لم تعد لهذه الفطيرة قيمة
إن »

ولشغل نفسه الفطيرة تبغ فطيرة ، وسهل قليلا ،
ثم قال :

- « سميت أن أقدم لك نفسي (مارك
دونالسون) .. أمريكى »

كملت القول له - فى سذاجة - لى توقعته
هذه ، ثم عدلت قد لا أعرف مقدار ما يعرفه
على كل حال ربما كل من الحكمة أن يبيع
ولا يشتري ..

قلت له فى وهن :

- « لماذا لم تقتلنى ؟ »

ابتسم وغمر بعينه اليسرى . كفت هذه عدة
عصبية عنده - كما تبين بعد قليل - وقال :

- « يخيل إلى أنك لا تفهم الموضوع جيدا
لست فظة . أنت هنا صديقنا المكرم حتى يتعارف
معا صديقك الصينى »

- « صديقى الصينى ؟ وأين هو ؟ »

- « كنا نصحبك الآن على الإجابة لم نجده ،
لذا اضطررنا إلى اصطحابك معنا ولهذا اخترع
(الكولورورم) كما تعلم »

أه ! فهمت . المشهد الفظايع فى السجن
رجلان يجران جراً ، وأنا غائب عن الوعي
وكلم قبلهم رجل مرتاب أو شرطى فالأشياء
عن إفراطى فى الشرب أو غيبوبة السكر
لو لو

- « وإلى أين تأخذونى ؟ »

- « هذا القطار متجه إلى (ناجويا) إن
خط (توكايدو) هو أهم خطوط السكك الحديدية

فى اليابان ، ويربط (طوكيو) بـ (أوزاكا)
و (ناغويا) .. »

كان على مهلباً بفعل المظفر . ضباب كثيف
يضر الفكرى ، لكنى كنت أعرف أن (ناغويا) هى
أهم موانئ اليابان . إن (طوكيو) لا تصلح
إلا للسفن الصغيرة .. لكن (ناغويا) .. أه
لويصفو على قليلا (ناغويا) على بعد نحو
أربع مائة كيلومتر من (طوكيو) . أى أن هذا
القطار يقطعها فى .. . يا للضباب !

* * *

جاء أحد الرجال بالطعام ، ووضع على
المنضدة . صحنه لكل منا .

وصح (دونالسون) بالمنشفة حول عنقه
- كب يفعل الأطفال - وكتب يفتك بالطعام فتكا ،

وكان يستعمل المصون بيراعة كانه يلقى ابن
يلقى ..

- « هل تحب (الموشى) ؟ إن من يلكه إنما
يرهن على شجاعة حقيقية إن التويل لا تلعب
أرحنى ، لكنى كلفت عن تصديق الأطباء منذ بلغت
المستين ولم أمت ! »

كان ثراثا بحق ، وأدركت أن هذا سيماعدنى
على أن أقزم الصمت ..

- سأقل صامتا أصفى حتى يقرروا أن ينزعوا أول
ظفر من لظفارى عذها سلكم عن كل شيء
سأحكى عن مرطبان للمربى الذى أكلته كله فى
بيت غلى ، وعن آلام الفولسير ، وعن فشل
قصص حتى كلها . سيحتجون إلى تخديرى من
جديد كى يسكنونى قليلا
لما الآن .. فلاخرس ..

قال (دويلسون) بفهم ملهىء بالاضفادع
وصراصر البحر :

- « منذ ايام لا اكثر كنت فى (فيرجيبيا)
أمرس حيتلى فجديرة بشيخ أمريكى متقاعد
ثم حدثت لك قصصة لقد عثر الصحفيون على
قلاد الفرقاطة الأمريكية التى سرها الليبتيون
فى أثناء الحرب تكلم قرجل كثيرا وعرفت
ما كنت أقصى به سمعته إلى قصصى قلى
قمت بتجهتها منذ ثلاثين عاما ما زالت
سليمة لم تعرق قها فى مكان ما فى
ليبىس وهكذا حرمت حقلبى وجب فى هب
كان لا بد من استردادها بتهادات أهمية
لا يعرفها احد سواى وهاتذا قد ست
ما أرتت »

بظرت به فى فهم ، والكنت مى السوال

- « هل هل وجدت الصديق ؟ »

- « لها معا فى هذا القطار ، ولسوم بشحنها
من (ساجوب) إلى لولايات بعد ساعات ماذا
كنت تظن ؟ »

* * *

٨ - البحث عن العجوز ..

(رفعت) قد لفتنى !

حقاً لا توجد أثر مقاومة ، ولا يوجد عصف .
لكن الكهل فريسة سهلة على كل حال ، وما كان
يهدى مقاومة لكثير مما تنهيهما أفراخ قطاة
يختطفها ثعلبان فى غيب لهما .

حقاً قد لخطأت حين تركته نكماً وهذه تحرمه
القطاة ، وغادرت المكان كان ماعداً فى سلام
كطفل ، وقد افتتح فيه وراح يقطعون لقطاع
إذا تباهت الكلام مع الفتاة ههنا .

اسمها (أوشيمو) يابانية تتكلم بعض
الصينية ، ولدت صينية تتكلم بعض اليابانية ، لكن
النفهم بيكما كان كاصلاً . إنها تعمل مع

(توكيجى) وقد قلبتها مرة أو مرتين ، وزرتها
مرة من قبل . إنها جذبة رفيعة ، وتجذب
أى رجل على ، لكنك لست رجلاً عالياً .

* * *

- « لاتروهن يا (أنقدا) لاتحدثوهن
يا (أنقدا) . وإذا تحدثت إليكم واحدة منهن
فلا تكثرنوا لما تقول يا (أنقدا) ! »

* * *

حقاً كان (جوتاما) يبالغ قليلاً ، ولكن النسوة
قد رفقاء تلك تمسكت بلب التصبحة وعرفت
كيف تحفظ بكرة القلب والصد ، وهما مفسدان
لكاهن (النافراى) وبعد لم يكن هذا أول
ولا آخر إغراء فى الحياة . إن فى روحك شيئاً
يجذب للنساء كما تجذب الزهور النصل فى
الأرومة . وهن يقرن فى عينك لتحدى الذى

يقول لك لا تلبس بسهولة لهذا بصممن
لهذا يحمن لهذا يصحك في كفة للمبرون
ويختبرك طيلة الوقت

وكالعادة تجتاز الاختبار في كل مرة

نقول لك (لوشيمو) ههه

- « هل تثق به ؟ أعنى صاحبك الأصلع هذا ؟ »

فتومئ إلى (رفعت) القنم ، ونهر رأسك

- « كنفسى إنه يملك جسدا ذاهلا ، لكن
قلبه زهرة .. »

نقول لك في قلبي :

- « لقد هتفتنى أحدهم ليلة أمس ثمة
عسبة نقل مربوبة تمت من معهد (ميكادو) إلى
المحطة هل تعرف ما تم نقله ؟ »

تسمع عينك اهتمام ، وتقول صاغطا على
حروف كلماتك :

- « صديق صديق مطلق بشرائط من
الأومنيوم ومحتومة بالشمع الأحمر صناديق
يبدو عليها القنم .. »

- « أصبت .. »

وتنظر إلى ساعنها الأنيقة وتقول

- « كل الدلائل تشير إلى أنها ستسجن في
قنطر الوالدة بعد الظهر إلى (ناجويا) هناك
من حجر نيوتا كسلا وعربة بصالح في هذا
القنطر هل تعرف ما (نجوب) ؟ »

- « أصبه ميناء ؟ »

تقول وهي تجوب الغرفة الصيفة كأنها ممر
حييم

- « بل لكبير مونييا إلى في (طوكيو) موب هي
هم (شيبورا) و (يوكوهوما) ، كنهم لا يصلح
للمنى الكبيرة الأمر يهتلي أن بعبرة محيطات »

الآن تنفك جدائل الفخر ، ويستطيع الحبل في
يدك شيئاً طويلاً ..

لقد حققت للعظمة المناسبة لكى ينقل هؤلاء
الصناديق من معدن (القشتو) إلى القطر ..
والقطار سينقلها إلى الميناء بعد أن يسمع
أحد عن الصناديق مرة أخرى ، ولأعوام طويلة ..
تنهض ، وتتأكد من أن معك كل شيء ثم
تنظر إلى الكهل الرائد الذى لا يرمى حرفاً مما
يحدث تقول فى ضيق

« سأذهب إلى هناك ولكن ماذا عن طقرة
هذا ؟ »

تهز (لوشيمو) شعرها ، وتقول :

« أنت تذهب ، أنا أبهى لا دور لى هناك ،
لكى سألهم لصديقك تفسيرا مرضوا حين
يصحو »

تهز رأسك ، وتشعر بشيء من الاطمئنان .

لا بأس من الخير أن يعود (رفعت) إلى
وطنه الآن ، ومن الخير أن تبقى الفتاة هنا
لأن لا ترغب فى أن يتكلى ثوبك الطويل على
الأرض من خلفك ، فيمسك به أعدائك . من
الخير ألا تكون لك ديول لتمسها للذئب ..

وبدون كلمة أخرى شعرت المكان ، علاماً
على الاتجاه إلى محطة السكة الحديدية .

* * *

كان كل شيء على ما يرام

لقد وصعت لمطار الأمود على قفلك ، وارتديت
السفرة الأنيقة التى أعطتك إياها الفتاة . كُصفت
فشارب الأمود مغولى الفطير على شفتيك السفلى ،
وهكذا صار لك وجه آخر . لم تعد زهرة زرقاء
نعم ولكن بعالية ..

وحيوت من المخازن ..

رائحة المازوت تفعم الجو ، وهدير القطارات
العضبي الممتلئة إلى الرحيل تكتو من الباب
الرئيسي وترمق الحملان يروحون ويجهنون ،
وأكثر من (لوبر) صغير يحمل صندوق
متباهية الحجم والمظهر

يدسو منك أحد العاملين هما . وهو يحمل
لوح كتبية ، ويبدو كمن وقع على كنز
يسألك عن شيء ما بالتاكيد يسألك عما تريد
هما ..

تنظر حولك فتبين إلا أحد يرى ما سيحدث

وما سيحدث هو صعقة سريعة على صدغ
الرجل بالذات على مركز (الكارف) الثرى
الذى يشع إلى الجسد كله

النتيجة هي أن الرجل يتهاوى كالبالون لدى
قتزع المحيط من عنقه ، وتظفر أنت بشيء
المبللة بالعرق تستبدلها خلف صندوق عصاك ،
ثم تخرج في ثوب جديد ولوح كتبية بين
يديك ..

والآن تلهم بهبطه - لكن بشكة - ما يحدث
هنا .

الحق أن عند الرجل شميري المظهر
أكثر من اللازم هنا ، ويمكنك بعين الخيال أن
تري المصالح لدى يديه كمن منهم جوار
خسره ..

إنهم يراقبون كل شيء يراقبون الصندوق
يراقبون الحملان يراقبون المنطل يراقبون
من يراقبهم ..

لقد كتبت الإخبارية محقة بالتأكيد

هذا المناخ المتوتر يقول إنها محقة .. ومن المؤكد أنهم ينقلون الصناديق إلى القطر الآن أو سيصلون ذلك حالاً .

ديوى كامل فى القطر ، وعربة بضائع محبوزة لهم بالكامل ، وكل هؤلاء القاصص الذين يبنون كلما هم ملكية خاصة لمدير هذه الصلابة

إنهم لقياء حقاً واسعوا النفوذ والثراء .

وحتى أنت فيها (الزهرة الزرقاء) لك حنوك ، ولك الجبال التى لن تبلغ أعلاها ، والأنهار التى لن تمسح جورها ..

إن إيلف القطر ، ومنع شخص الصناديق ، لأمران يحتاجان إلى فريق من الرجال إلى جيش .. إلى اتصالات ..

سيكون عليك أن تبلغ من تبلى من رجال (تكتجى) . عليهم أن ينتظروا فى (ناهويا) ويحاولوا إجهاد نقل الصناديق إلى عبيرة المحرطات بأى ثمن ..

وبعدها ؟ عليك أن تخبر الصيدين .. هم وحدهم يعرفون الخطوة التالية . فقد كنت على عاتقك مهمة معينة ، وقد عجزت عن تحقيقها . لقد كانوا هم الأقوى والأمرع والأكثر علماً

لكن لم يضع كل شيء بعد

* * *

وملهوفا تعود إلى دار (لوشيمو) كى تخبرها بالتفاصيل ..

لكن (لوشيمو) لم تكن هناك . ولم يكن (رفعت) ..

فقط وجدت الورقة الموضوعة حيث كان صديقك
يظن ، ورقة المخطر التي لا يمكن أن تخطئها
إن تُف (التفتي) الحساس لا يفوت شيئا
الورقة تكون بالإنجليزية

« إن سلامة صاحبك مسؤوليتنا لو كنت
مهتمًا به يمكنك الاتصال برقم الهاتف () ،
ولسوف يتم ترتيب لقاء . »

هكذا إن هذا نوع من المصالحة حياة
(رفعت) أو انتهاء مقفل مقابل ماذا ؟ في القلب
هم يعرفونك جيدا ، ويعرفون علاقتك بالحفريات في
(تشوكوتس) إن هم يريدون رجلا لهم هناك
يريدون رجلا يعرف كيف يهرب فريد من
العظام القديمة ..

ولن (رفعت) الآن ؟ ولن (لوشمو) ؟
إن ذلك الإحساس في مؤخرة رأسك : الإحساس

الذي تشعر به الصخرة نحو الحور ، والذي تشعر به
المسحبة نحو الأكمة هذا الإحساس الغريزي
المبهم : الذي علمك المظم الاعظم أن تحترمه وإن
تعترف به الإحساس الذي قد يدعوته للحاسة
المسكنة أو المسبعة لا بهم

هذا الإحساس يقول لك ببساطة إن (رفعت) في
القطر ..

القطر المنجه إلى (ماجوب) الآن
هذا يبدو متطابق إتهم بفروا بالصديق
وبرهمنهم في الآن ذاته

كم الساعة الآن ؟ للوحدة والربع
لقد فات الآن تحرك القطر نحو الغرب منذ
ربع ساعة هذه هي قبلان حيث لا تقع معجزات
مثل أن يتأخر القطر نصف ساعة
ماذا تفعل ؟ كيف ستفعله ؟

ويقول الأخ (مياج) :

« هل تطعت من قبرى سرعته ، ومن لتمر
شرسته ، ومن الشهب تصميمها ليها (الزهرة
الزرقاء) ؟ »

« تطعت هذا ولكثر ليها الأخ (مياج) . »

« وهل تطعت من أحقر الحشرات صيرها
ومثارتها ليها (الزهرة الزرقاء) ؟ »

« تطعت هذا ولكثر ليها الأخ (مياج) . »

وقال سائق السيارة ليهبلى لدى هو من
رجال (تكيجى) ..

« نحن نسير بسرعة مائة وميتين كيلومترا
يا (هن - تشو) هل أنت وثقى من أنك قادر
على هذا ؟ »

« أحب أن اعتك هذا »

كل السلق باوعا ، وقد استطاع بالضبط تحديد
النقطة التى يهبط فيها قطار عند (لوكلو)
ها هو ذا قطار بانوح من بعيد كخط أحمر يراق .
وها هو ذا السلق يحلقه بالسيارة قدر الإمكان

سرعة القطار تبطئ تدريجيا ، والسيارة
محتلقة بسرعتها . الآن تبدو عربات القطار شبه
ثابتة بالنسبة للسيارة . وهو وصع جيد لكنه لن
يدوم طويلا ..

بته الجحيم ! كل هذه الاهتزازات والهواء الذى
تحويل إلى جيش من الأكف الباردة تصفعك
بلا انقطاع ..

تفتح باب السيارة وتخرج جذعك تثبت
باب يتأرجح بلا انقطاع ، وها هو ذا باب عربة
القطار على بعد ثلاثة أمتار وإلى جواره ذلك
القصيب الرأسى الذى سيومض لك بالفتشبت .

« الان ! »

وفي اللحظة ذاتها وثبت في الهواء ، وكنت
تعرف أنك ستفقدتها إن هي اعطاك قط بري
يقط ، نكته بحجة إلى من يخرجه إلى السطح
من أن لآخر

تعلقت بك بك بالقصيب ، ولمستطعت أن تتمسك
جيد . ثم تلقى نظرة على المسيرة ، فتجدها
تتقهقر بعدما عجزت عن مواصلة المسيرة
الآن لم يعد الأمر بالصعوبة السابقة

كنت في الفطار فعلا سرعة جسمك هي
سرعته . بقي أن تثبت جيدا .. لا تصطط الآن
وتعت . حول أن تجد إريزا تضع عليه قدميك
حول أن تقوم بلكم لرجلة الأرضية في مقيك ،
فهي لا تنسى إلى عالم (الكارما) ، وبالتالي
هي لا تليق بك ...



تعلقت بك بك بالمصيب ، ولمستطعت أن تتمسك
جيدا . ثم تلقى نظرة على المسيرة ، فتجدها
تتقهقر بعدما عجزت عن مواصلة المسيرة

أنت هنا ..

فكر في هذا ..

تأمله ..

عليك أن تجد ثغرة واحدة تنفذ منها إلى
الدخل ..

وبعدها ستكون المواجهة

* * *

٩- الحقيقة .. كل الحقيقة ..

وكان (دوتامسون) مازال يثرثر ..

كان قد شرب جرعات عديدة من (المصاكي)
لساكن ، ولو كانت هناك حبة واحدة ما في نسائه لقد
انتهى أمرها منذ دهر . الآن قد انصقن وجهه
ولزينة أفقه ، وراح يلهث بلا قطع ، واحتشمت
هبيبات العرق على جبينه

إن بقاء هذا الرجل حياً ساعة أخرى لمعجزة
حقيقية .

قال في غلّ :

- « حقوق الصينيين ؟ هراء ! أنا كنت معهم
عام ١٩٣٧ وعلمت هؤلاء القروء للصغر كل
شيء .. علمتهم كيف يتخلون القربة ، وكيف

يصنعون ألواناً من جفن الحاريف ، وكيف
يريدون الشوقب . كل ما يعرفونه هو بفضل
لنا ، وبعد هذا يتحدثون عن حقوق ؟ »

كس قد نخل في الطور المعتاد للسكاري ، فهم
بخوضون معارك وهمية بلا مبرر ، ويتشاجرون
ويصرخون ويلوحون بقضائهم ، ثم يهانون
ويكونون بلا داع أيضاً

« إن رجل (يكن) ملكي وحدي لقد وجد
سواي بعض الأسارى أو الفئوك . لكني وجدت
هياكل كاملة . هل تسمض ؟ هياكل كاملة
كم نسوي هذه الهياكل الآن ؟ وكم يدفع لها
أي متحف تاريخ طبيعي في الولايات أو بريطانيا
العظمى ؟ إن للثروة صوراً عديدة ، لكنها كما
تتخذ شكل بقايا عظمية وصخور .. »
وراحت يده ترتجف .

نظرت للبابطين الواقفين حولي ، فأدركت
أنهم يهانون الرجل حقاً ، ولو لم يكن الأمر
كنك لطلبوا منه الكف عن الشراب والثرثرة ..

« خذ عندك تلك الأحق (ميتسوجوياما) »
ونظر من نافذة القطار يومئذ الأشجار
الركضة :

« لقد صاب أنه ظلم بكنز وها هو ذا يفل
محتويات مطبنته في نظام إلى (طوكيو) لقد
استعمل مضيق هك ! مضيق (لولاجا)
ليدخل سطحه منه ، وفي سرية تامة حمل رجاله
الصناديق الثقيلة إلى أحد معابد (الشنتو)
المهجورة خارج المدينة . كل هذه المعابد لها
عالم تحت الأرض شديد الاتساع ، ويسمح
بلخفاء مدينة كاملة .. لابد أن الرجل كان
يعرف هذا المعبد جيداً .

« ويبلغ الرجل تقريره إلى رومانه .. كنت
للفرقاطة الأمريكية تحمل بعض المؤن والذخائر
لكن . هك ! لاشئ » آخر »

ومسح فمه ، وصحك لخطر عن له ثم قال

« وتمزسو الحرب . لقد عاش (جويما)
ولستطاع أن يرى قنار بلاد في المحيط الهادي ،
وحضر معركة (ميدوي) ، بل وعاش ليرى أول
قبلة ذرية في التاريخ تهوى على (هيروشيما) .
ودعى قل لك إن هذا شعب صلب . شعب ضيق
لو سألوني للصحتهم بإلقاء القنبلة .. لاشئ
مروي (اليورانيوم) المشطار يقدر على تعطيم
إرادة هؤلاء القوم .. »

كنت أصرخ ثم وجدت أن أركض في الأسنحة
غير التقليدية لن تروى للرجل . بل ستفسد
عليه كل هذا (التجلي) القنار ، ويوقف ولعل

المعلومات المنهال على رأسى .. ترى هل
سأستفيد بها يوماً ما ؟

لوف (دونالدسون) وهو يصب لنفسه قهزيد .
« هل (جويما) صليماً طيلة الحرب
وبعدا . ثم يتكرر . لو يظهر أنه تكرر . الصنديق
إلا عام ١٩٦٣ ..

« يبدو أنه عاد لمعد (فشتو) وهذه . ويبدو
أنه قرر أن يترك وهذه ليرى ما بالصنديق

« حسن . هك ! لا أحد يعرف بالصنديق
ما حدث بعدها . يقال إنه شوهد يمشي نحو
الأنجار شبه مكثك والقنار . أعنى أنهم
وجدوا جثته قلى تغرس فيها السيف على
طريقة (هارلكرى) المشهورة . لا تنس أنه
رجل عسكري ، وهؤلاء لا ينتحرون بالمعنى لهذا .
فقط القريبون يفجرون رؤوسهم بالرصاص

لو يبتلعون عتبة كاملة من قراص الموم .

« هنا لابد من سؤال واحد جيد لماذا
تنتحر ؟ لا أحد يعرف لكن انتحاره كان مقبوا
لأنه ساعد على تحديد دقرة اشماته ، وكان
معهد (الشستو) الذي مات بقربه ، مع شهادة
بعض الجنود هي الخطيئة الذي بدنا منه في
بحثنا ..

« جئت لنا وتصلت بمن يهمهم الأمر
أليس لا يتكلمون كثيرا ويعملون أي شيء مقابل
المال . كان في معهد (الشستو) شيخ كاهن
ممن إنه من تلك الطائفة الذي يعيش
بالقصور الداتى وعلى مهبل عمادة أنا أكره
إيداء الشيوخ لأنى هك ! صرت منهم . لكن
للضرورة أحكامها وكان على الرجل - الذى
تمرت لديه اليمتى - أن يكوننا عبر الممرات
شديدة التعبد لملل المعهد ، ويرينا الصنابق »

ومط شفته السفلى بصفتار وقال :

- « ولكن دعنى تؤكد لك أن مايقال عن قوة
تحمل هؤلاء الكهنة البابتيين على المستوى
الجسدى والروحي خرافة لقد ملأ الرجل
قلنيا صرغا وعويلا بمجرد أن قطع (ييكو)
قلبه . وكان الأمر يستحق كل هذا الصبرج »

واينسم وأشار إلى أحد البابتيين الواقفين
- الأخ (ييكو) طبعا - فهز هذا رأسه في
استمتع ، وأخرج من حرامه خبزا لوج به في
الهواء على مهبل فتحة ثم أضده . يبدو أنه
لهم أن الكلام موجه له

سألت (دوناتسون) سؤال لم أطق كتماته :

- « لحظة - ما هي الظروف التى أدت إلى
تحولك من عالم آثار إلى زعيم عصبة يقطع
أذن قريهات قشيوخ ؟ »

كان سؤالاً خطراً لكنه مهم . فلما لا تترك
أبداً جانباً مظلماً من طباع الإنسان يصر على
دور أن أحول فهمه ، حتى لو كنى هذا آخر عمل
لؤديه ..

قال (دونلسون) :

« كل الناس طيرون كريمة النفس حتى يحدث
ما يلف عائق أمام مصالحهم ! لقد لوشت حيتي
على الانتهاء دون أن أعيشها لحظة . هك ! لقد
عشت كمجنون لا يكف عن التفكير في إيمان
(بكين) . لقدت لسرتي وماتت زوجتي وأنا أعلم
بإيمان (بكين) كل الثراء والمجد اللذين
ينظراني لو لم يكن (ثورنولد) نصناً
و (جوياس) وغداً .. والآن لم يعد من العصر
ما يكفي للاستمتاع .. حين تصير أعوانك

قصيرة مثلي لا يعود لديك وقت للراحة . إنك
هك ! ستمزق أحشاء كل من يقف في طريقك
حتى عن طريق الخطأ »
سألفه من جديد :

« وكيف تدفع لكل هؤلاء الطبعية ؟ »

أخرج سيجاراً غليظاً ، وراح يحاول التصويب
عليه بالقداحة خمسين سنة كاملة حتى تمكن
من إصطياده ..

نالت مدخنة كثيفة من الدخان في وجهي ، ثم
قال :

« إن لي صلاتي ها .. ثم إنني أسحب من
رصودي ما يساويه هذا الكشف يوماً ما »

سيجار ولطائف تبغ ! هذا الرجل يمتحن
جسده المعجوز أكثر من اللازم ، ودعوت الله لي
تصبيه نوبة قلبية الآن حالاً وننتهي .

قال الأمريكى وهو بمنى السجائر :

« المهم . لقد وجدت الصديق كما كنت لك

كان ثلثان منها مفتوحين بما فيهما من
مخزور وقطع عظم الصندوق الثالث - وهو
أهمها - كان مغلق لكنه ليس للثقلى المصمم قذى
وصعته عليه يوما ما من عام ١٩٤١

« ثمة من فتح الصندوق ثم أغلقه أغلقه
فى غير براعة . ويمكن أن تقول دون خطأ كبير
إن هذا (جويشا) ..

« ما الذى وجدته (جويشا) بالصندوق ؟
ما الذى جعله يحد غلقه ثم يفر فى دعر ليوثر
بصيف فى معننه ؟ هه ؟ هل يمكنك أن تخبرنى ؟
كان قد لب برأسه منى كثيرا . وعيها شبه
معصنين فى وجهه المنتفخ . إنه ممن يتمتعون
بموهبة البخر من القم . قلت كى بيتد عنى :

« ربما وجد مرأة ولم يتصل شكل وجهه ؟ ! »

« لا .. لا .. لقد أصيبه الذعر .. لأنه لم
يتصل ما رآه من (شىء) »

« هنا بدأ الفلر يلعب فى عنى . (شىء) ؟ هناك
(شىء) على ما يبدو . ومن الواضح أنه
ليس جميل المنظر ..

صانته فى قلبى :

« أى شىء بالضبط ؟ »

اهتزَّ ضعفاً وترجرج بطنه عدة مرات ، ثم
قال :

« شىء الذى وجدت بقاياها فى الآخر مختلطة
بالصخور .. لقد تعاونت مع صينيين على وضعها فى
ذلك الصندوق وتلكت من غلقه . إن هذا الصندوق
بالذات لا يضم رفقت رجل (بكين) بل رفقت من
فك برجل (بكين) منذ نصف مليون عام ! »

قلت في صبر :

- « لحظة برغم غرابة القصة ، فلما لا نجد العنود على رفات قديم - ولو كان رفات (بوليوس قصير) نفسه - مبرراً لالتحضر »

- « هذا يعني أن الرجل قد جنّ هك ! إن الموضوع مثير بحق . ألا ترى هذا معنى ؟ »

- « بلى .. بلى .. »

لمسك بالترموس وصب لنفسه بعض المسكى ، ثم قال :

- « كنت خطتي هي في أربع بقايا رجل (بكين) أولاً ، ثم اعتكف على دراسة بقايا ذلك (الشيء) في أمريكا مأخذ راحتي ، وكتب تقريراً عظيماً ثم وإن يكتب .. »

« كنت صغير السن وقتها ، وكان لاسي الزمن كله ، وكل الأمريكي متحمسين لأخذ هذه البقايا

القيمة ودراستها . فريق عمل رأسه طبعا

نقد جاءت الفرقاطة (بيليت) في سرية تامة لتأخذ الصنخيق ، لكنها تأخرت يومين أكثر من اللازم .. يومين كلما كافيين كسي تدخل أمريكا للحرب ضد اليابان ، وكى الخط لنا كل شيء .. كل شيء ! »

* * *

هنا نقل قديون أحد اليابانيين ، ودنا من (دونكسون) ليقول له باليابانية - وبصوت خفيض بلا داع - شيئاً ما . هذا بعض الاهتمام على وجه الأمريكي وبدوره أمر الرجل بشيء آخر .. هز الياباني رأسه وقصّر

وعلى الفور جرد ثلاثة من الرجال أسلحتهم القنوية والبيضاء ، وغلبوا المكان لاحتلوا بالأول .. كقوا بارتيس برود المحترفين برغم أهمية الخبر الظاهرة ..

نظر لي الأمريكي فرأى علامتي عدم الفهم
على وجهي . أمرت لقضاء إذا شئنا النفقة ،
فقال :

« لا عليك . هناك متسلل إلى القطار . لقد
رأه أحدهم يثب إليه من سيارة .. وهؤلاء الرجال
سينكسرون من أن مخزن البصالح على ما يدرهم
« لا خطر هناك . هك ! لا خطر على الإطلاق »

* * *

١٠ - أوقفوا الهول الآتي ..

القطار اليابتي الأنيق يواصل رحلته للمسريفة
نحو (ناجويا) ..

وفي الديوان الذي تحول إلى غرفة عمليات
(نوبالسون) كنت جالسا . لريح كوعى على
بطار النفذة وأرمى اليدين الراكصة لملى

تري ليس (هن - تشو - كان) ؟ لماذا ذهب
وتركني ؟ ولماذا سيقبل حين يعود فلا يجلسني ؟

كيف له أن يعظم أسمى هنا في هذا القطار ؟
وكيف ينتهي هذا الموقف ؟ هل سينقلونني معهم
إلى الولايات أم يتخلصون مني في الميناء ؟

بما أعرفه عن (الزهرة الزرقاء) أعقد أنه
سينصرف ، لكن كيف ؟

ونظرت إلى المصعدة أسمى . بينى وبين
(دوبلسون) مصعدة صغيرة مثبنة بالرضية الخرية
إلى عليها مطفأة تبغ ثقيلة تصنح لأهشم بها
رأس الرجل ، فقط لو كنا وحدنا . لكنه محاط
بهؤلاء القبطجية طيلة الوقت
كيف يمكن أن ...

• • •

هنا فتحهم البيون أحد القبطيين كلهم بجىء
من خلفية القطار اعتقد أن عربة قشعرن خلفنا
مباشرة أو تفصلنا عنها عربة أخرى وواضح
لهم أنهم من هناك ..

صاح باليهودية في فرع ، ونظرت إليه فوجدته
ملوثا بالدماء كأنه سكب عليه أحدهم دلوا
من الدم ، وبمنظرة طبية أفق عرفت أن هذا ليس
نمعه هذا دم واحد آخر كن معه !

هبط الرجال ، وتأكد اثنين منهما من حشو
سلاحيهما ثم احقا به ، وسرعان ما سوارى
الجميع . عربة القطار التي تجعد الخلف في
هولها قد صار بها أربعة أشخاص لا أكثر أنا
و (دوبلسون) واثنان من رجاله .

سألته في حذر :

« مشكل .. هه ؟ »

ابتسم في ثقة ، وقال .

« لا داعي للامبالاة الزائدة هناك متعب ما
بيدو أن المتسلل شديد المراس ، لكن الموضوع
منته على كل حال .. »

ومرت ثوبن ثقيلة بفلق ثقيلة

صوت طنقت رصاص . صراخ مربع مربع

ثمة طرققت على باب البيون الذي يقود ليلقى
القطار : الجزء الأسمى منه

فتح أحد الرجلين البابين القريب ، فبرز وجه
المحصل الممتنع قال شيئاً ما ، فتوَّح الرجل
بقهوة ممسسه تحت أنفه وقال شيئاً آخر فقط
المحصل يتراجع في دعو والباب يهتق من جديد
قصبة واضحة جداً « ماهرة يا سيادة هل
صوت الطنقات هذا من عندكم ؟ »
« لا تتدخل فيما لا يعبك يا رجل فهذا لن
يفيد صحتك .. »

فجاء صوت أفهم اليه بقية جيداً
صوت طنقة أخرى .
صرخة ..

ينفتح باب الديوان الخلفي ، ويدخل أحد البلطجية
لم يكن ملوَّثاً بالدماء ، لكنه كان في حالة عصبية
غاية في السوء ، وكان يرتجف كورقة

ملكه (دونالسون) وقد بدأ يتوتر .
- « (إيكو) ؟ »

- لم يكن هذا هو (إيكو) . إنما الأمر بكس
يتساعل عن أين ذهب (إيكو)
وكان جواب البلطجي بلقاً جداً . رفع يده ،
وكثرت تقبص على كف أنمية مبهترة هذا هو
ما بقي من (إيكو) . وسرعان ما تهوى لسانه
الرشد

تهض (دونالسون) للمرة الأولى منذ رأته
في صحن القشة بحلق ، وتوَّلم يكن طويل القامة
ليداً كالقيل بهداته هذه . إن الهداية مع طول
القامة جعلته صلتها تماماً ليكون صلتها باب
صاح في الرجال باليهودية بأوامر لم تُبهرها ،
وصدور ينظر إلى ثم هرع نحو باب الديوان

الذي يخرجون جميعا منه ويهونون جرحه
أو لا يهونون .

ونظرت هوجنت أن أحد الرجلين يلحق
بـ (تونسوى) ، لما الآخر توقف جوارى
ممسكا بمسند طويل الفوهة - كاتم للصوت
غالبا - وفي عينيه نظرة تقول « إن ظننت أن
هذه المفوضى هي فرصتك للفرار ، فقلت أحقق
بالتأكد .. »

ومن جديد سمعت طفلة أخرى
وتسألت هل يتوقف القطار الآن ؟ من
التيهى أن يوقف السائق القطار ويتصل بالشرطة ..
لو استطعت أن أضرب هذا البلطجي لفتحت الباب
الآخر وفرت . ولكن كيف أتمكن من هذا ؟ إنه
يقف كبعوضة ، ثم من كحيوان (الولفرون)
وفجأة . انقطع التيار الكهربى ، لكن الظلام لم
يسد لأن النوافذ كانت تدخل ضوء النهار



وكان جراب البلطجي يلما جدا . رفع يده ، وكانت تلجس
على كف آدميه مبتورة . هذا هو ما يقى من (إيكو) ..

هل لنا وإهم لم لي سرعة الفطر تنخفض فعلاً ؟
تحفص غير ملحوظ لكنه يحدث بالفعل شيء ما
يحدث هنا ..

صوت صراخ مربع لم ..

للمرة الأولى أميز هذا الزئير الرهيب ليس
هذا زئير لسمد ولا لب ولا أي وحش سمعت
صوته ليس زئير العواصف ولا به صوت
وحشي لم يخترع بعد ، كأنه خلط الأصوات التي
يقوم به المسميقيون في عصابة (الميكساج)
لابتكر أصوات لا وجود لها كصوت الديناصورات .

ولمحت وجه اليباسي يتوتر لقد زعزع
للصوت هدوءه الداخلي

طرقات على الباب الأخر

اتجه نحوه والمهندس في يده ، وتساءل : من ؟

قلتها باليابسية طبعاً ، لكن الطريق لم يكن مهذباً
بما يكفي .. لقد انفتح الباب عذوة ، ليصدم
الرجل في وجهه . ترجع للوراء وتحسن أنفه
وترجع مرتين . وقبل أن يرفع المسمن ثقبه
طارق ساق (هن - تشو - كان) إلى وجهه
لتصربه في الموضع ذاته

وفي الثانية ذاتها هبطت القدم لتطير المسمن
من يده ..

لم تكن هناك في هذه المرة بروتوكولات من
طرق (كوسلايت) الخ إلى فرس بتطور ،
وفي عصر الأسلحة النارية لم بعد الوقت كافياً
لطقوس (النافراي) الكسلة ، والا لأقرغ عذوك
مسنه في رأسك قبل أن تقول (تشلسلايت) .

لتطور الثاني المهم هو أن (هن - تشو - كان)
لتقط المسمن سريعاً من جوار الرجل الصاقل على
الأرض ، ولعمسكه في يده .. كاهن (نافراي)
لا يحتقر الأسلحة النارية غريب هذا !

التطور الثالث هو ان القطار بدأ يبطئ أكثر
فأكثر ..

* * *

صحت في مرج ملوحي بدراعي

- « (هن - تشو) * كن يجب ان اعرف
أنك الأحمل الوحيد الذي يثب إلى قطار مصرع من
سيارة ! »

كان القلق يادي على سلامحه ، ولم يبد متحاب
بروح الدعاية على الإطلاق

جال ببصره في أرجاء الديوان ، ثم قل

- « لاوقت لهذا (ريفات) حل هذا الباب
يُغلق ؟ »

كن يشير إلى الباب الثاني الذي يقود إلى مؤخرة
القطار ، والذي خرج منه (دويلسون) ورجاله
منذ قليل ..

قلت له في حيرة :

- « بالتأكيد إن له مرلاجا و .. »

- « اخلقه حالا ! »

وإذا تريدى عاد يقول بنهجة أرق

- « لا تحف إنسى أحسن ظهرك ! »

هرعت إلى الباب فأغلقت به حكام بالمزلاج ،
وعت إلى (القفراي) المتوتر كوتر القوس
قلت له :

- « ما ريت لا أفهم ما الذي .. »

وها بدأ القطر يتوقف هبط تسارعه إلى
سرعة لرجل العادي ثم همدت حركته تماما
ونظرت عبر زجاج النافذة كما في المروج
للخضراء وما من مهب في الأفق
- « يبدو أن السائق توقف القطار .. »

قال (هن - تشو - كن) وهو ينصق وجهه
بالزجاج :

- « لا إبه مستمر نحو (سجويًا) بنفس
مرعته أنا الذي قام بفصل آخر أربع عربات
من القطار ! »

صحت في دهشة :

- « آخر أربع ؟ هل جنت ؟ »

قال وهو يحوم في الدوان كنمر حبيب :

- « لابد من هذا لن أغامر بل ينتقل الخطر
إلى باقي القطار إلى هناك أبرياء كثيرين وإطفالا
ونساء ! »

- « ك .. خطر ؟ أي خطر ؟ »

قال بوجه صلب قد من حجر :

- « لا أدري لكنه مريع ولا قبل لنا بمواجهته

إلى علينا أن نفعل أي شيء لمعدرة هذا القطار
حالا ! »

لم أحول الفهم أكثر نظرت إلى الباب
الذي جاء هو منه ، وقتت

- سنعابر من هنا هذا سهل ؟ »

- « ليس سهلا على الإيطالي هناك أحرق
قد عزل تلك العربات عن باقي القطار وقد قطعها
ببراعة هناك باب حديدى لم أستطع فتحه
يسو أن المحصل أغلقه حرس سمع صوت
قطعت .. »

- « هل تعنى أن العربات التي نحن فيها ليست
نهاية الجزء المفصول من القطار ؟ »

راح بعد على أربعة أصابع :

- « ثمة أربع عربات عربية الشحن التي
تقع في نهاية القطار عربية خالية ثم

للحربة التي نحن فيها ثم عربة خالية أخرى
مغلقة بباب حديدى لقوى منى «

« والأبواب ؟ »

« إنها أبواب بونومتيكية ، ومن الواضح
أن انفصالها عن القنطرة قد جعلها موصدة
بهحكم »

تحركت فى روحى مخاوف (رهبة الأسلاك
المظلمة) ، وصحت فى زعر :

« أرى أنك لن تخرج من هنا ؟ »

« ثمة فتحة فى عربة القنصل لكسالى ذهب
هناك بأى ثمن وثمة القنصل مسهشم القنصل
ويخرج »

لمسكت بمساعدته ملحقاً ، وتساءلت :

« ما الخطر الذى يخوفك إلى هذا الحد ؟ »

نظر لى بعينين لا تريين ، وقال

« لا أرى .. لكن العربتين المجاورتين لك
ملبنتان بالنساء والأطراف المبتورة لقد رأيتها
تطير وسمعت صراخ قرجال .. إن هذا القنصل
يحمل كابوساً . كابوساً لم نعرفه الكوابيس من
قبل ! »

* * *

١١- الهروب ..

تراجع (هـ - نشو - كان) للوراء خطوة ،
ثم فرد ذراعه وصعدت الرمال

يوم ! كثر !!!!! ش !

تهشم رجاء النالدة ، لكنه قلل بحاجة إلى
مريد من المعالجة بمقبض المسدس إكم
تعرفون بلا شك مثانة رجاء هذه الفطرات
الهبائية

هذا سمعا صوت ارتظام محيف .

ونظرنا إلى الوراء إلى باب الديوان المظلق
بالمزلاج ، فوجدناه يرتج كالأشياء يصرب به
بلا انقطاع وبهوة غير معقولة

* * *

ومن وراء الزجاج الدائري الذي يفصل عربتنا
عن العربية الأخرى رأيت رأيت وجه
(يونقسون) كان يحوى بلا انقطاع وقلم .
آه !

لن أصف المشهد بدقة ، لأننى لمست معن
يستمتعون بهذه الأشياء . أنا لمقت للزعب
المعوى بكل صوره رعب الأحشاء الخارجة
والاطراف المبتورة ، وقد كان ذلك المشهد
يحوى كل ما أكره وأخاف فى تكون .

وأبركت فى جزع لن شديد بمسك به ، ويتسلى
بضربه فى القلب ، كما يفعل طفل شقى بدمية
لأخته المولودة الصارخة

صاح (هـ - نشو - كان) بلهجة عسكرية
امرة :

- = فلهرع إلى العربية للمجاروة ! إبه لن
بترك لنا الوقت الكافى كى

ولم تكن بحاجة إلى مزيد من الشرح .

هرعت أركض بقدر ما سمعت سرعتي ، وباطبع
أقنطر الفتى حتى رأيته أخرج من باب القديون ،
ثم لحق بي ..

وفي الظلام وقلبا في تلك الفجوة ما بين
العريتين ، والتي تبطنها أرضية شبيهة بالأكورديون
سددت يدي إلى جيبى وحدثت عن
(النيتروجلوسرين) سمعت قرصا تحت لستى
على لا أموت في الثانية دقيقتها

إننى لا أحمّل هذا رياء ! أنا لا أحمّل هذا .

أغلق (هس - تشو - كان) باب القديون
خلفنا ، ثم هرع إلى العربة ولما خلفه .

كانت مظلمة اللهم إلا من نور النهار الداخل
من النوافذ . وكنت خائبة تملأ ، إلا من بعض
مقاعد أليفة صامتة ..

سألت الفتى ولما تشير إلى نهاية العربة -

- « هذه القلعة مغلقة بباب حديدى كما قلت ؟ »

- « نعم .. »

حاولت أن أتمسك الأمور في ذهنى ، فلم أستطع
أن أجد الترتيب الزمنى الملائم . قلت له وقد
بدت قصته غير مترابطة .

- « لحظة - كيف استطعت فصل العربات ومتى
دخلت هذه العربة ؟ »

تتهدد فى سأم وقال :

- « دخلت من مخزن البصلع - ولم يكن هناك
شيء مريب - إلى العربة الثانية . ثم خرجت من
مخلفها . بعدها راسلت المشى أو الزحف على
السقف ، ثم سمعت للصراخ والزلازل ففهممت
ما يحدث وقررت أن أقفل العربات - كان الباب
الحديدى مغلق لهذا خرجت من هذه الفتحة »

ونشار إلى السقف وأردف :

- « وقعت بفصل العربات ، ثم تسلفت ثقبية
لأعود إلى العربة من جديد ، وأفرع بابك . »
قلت له وأنا أنظر إلى فتحة السقف
- « لكنها ضيقة جداً . مستحيل أن تسمح
لنا به ... »

- « تسمح لي أنا لكنها لا تتناسب حتماً
قلت له وقد بدت عليهم

- « حين كنت أنت في مخزن البضائع لم
نقم بفتح أحد الصناديق ؟ »

هز رأسه ، وبلى شفته السفلى بنمسته :

- « بلى . كان على أن أعرف . لم تفتح
للمصدوق تماماً لكسي كشفته بما يكفى . وكان
ما بداخله رهيباً .. »

- « حين أنت من أعد لهذا الشيء حريته . »

- « لكن هذا .. »

وبون كلمة أخرى أطلق الرصاص على إحدى
النوافذ ، وراح بهشم رجاجها بالمقبض

كس صوت الزنبر يتعالى من قربة المجاورة ،
وأدركت من الخطر صار دنيا بحق

قلت له وأنا اتعرق شوقاً للهرب

- « أنت أولاً . »

- « بالعكس لا بد من واحد يحصى ظهره

أنت أولاً »

- « لا بد من واحد يتلقى على الأرض إن

الارتفاع شاهق ولمسوف هشم عكسي . لقد

فعلتها مرة حين تعطل القطار على مشرف

(بها) و »

.. أنت أولاً .

وهذا وجدت نفسي أحتركتني في إطار النافذة ..
ثم وجدت في الأسفل أن قطعها بالعكس تشبهت
بكلتي قلتي وأخبرت سافلي خارج النافذة - وهوب !
وجدت نفسي ملقى على الأرض جوار القطار ، وكل
عضلة في جسدي تؤلمني ، وكل عظمة مهشمة .

وتنحيت جانباً بينما (هن - تشو - كلن)
يخرج من الإطار بالطريقة الصحيحة المثلثية ،
وكما يلطون في السويما

قلت له في رضا وأنا أجمع عظامي وأنهض

« قد نجوت هذه النافذة لن تسمح له
بالخروج .. »

« كنت واهم » - قلها وهو ينفض الغبار
عن ثيابه - « إنه يستطيع عمل أي شيء »
ووقفنا نرمى العربات الأربع الهالكة .

نرمى العربات التي بجوارها خطر قتل غافيا
بصف مليون سنة ، ثم قطعته عسكري بلاتس سمه
(جويما) وبهذا اعلمته للحياة الكاملة حماقة
كاهن من (قنبت) اسمه (هن - تشو - كلن)

من الواضح أنه لم يمت قط - لقد أذهه غيباب
(الأكسجين) كل هذه الأعولم ، ودخل في سبات
عميق ، ولم يبق منه إلا حين وصل إليه الهواء

لا بد أن (جويما) راه يتحرك لا بد أنه فرك
القول الذي تسبب فيه نهدا فقد صوبه الخلق
الصندوق كبعضا قسلي وانتصر كس لا نظردده
الكوابيس بقية حياته ..

لكن السؤال المهم هو هل كان للشئ كله
داخل الصندوق ؟ إن هو مسخ صغير الحجم خط

ولم أقهم حتى رأيته هناك

طلب النافذة حيث كنا نقف

* * *

١٢- الحرقعة ..

كان قول ما رأيته يشبه معصاً كبيراً

ثم بدأت أتبين قدام علامة خصره القنوس ،
تتصغر إطار نافذة في جثع قطرات من سائل
أخضر شديع تتساقط ببطء على جانب القطر

كانت صورتي تتعكس على المادة الجيلاتينية
اللامعة ، وقد فهمت ما هناك إن الصورة دقتها
تتراجع . تتشوه ببطء للحظة خويل إلى أن
وجهي في الانعكاس يصرخل هولا ثم يفتقد

الذعر يتملكني ، والرغبة في الفرار بأى ثمن

لا سبيل لذلك إنه سيجننا حينما كنا ، ولمسوق
يقول ما يشاء بنا . لأنه لا شيء يقف أمام الشيء

الهلج يتملكني ثم يعم جسدي استرخاء غير
عادي . استسلام ثم لمصيري ، وما يشعر به
الفرار حين يحصره القف في ركن الكرار

لحق أن لهذا الانعكاس تأثيراً منوماً واضحاً .

ونظرت إلى (هن - تشو - كن) فوجدته
يرتجف ، وشغفه ترددي كلمت لا أفهمها ، لكنها
بالتأكيد من صلوات (الفلاراي) القديمة
صحت فيه وقد بدأت أستراد توؤزني .

- « لا تضغط يا (هن - تشو) ! إنه يؤمننا
هذا المسخ يملك قوى نفسية واضحة ! »

بدأ يستعيد قواه تراجع يصع خطوات للوراء ،
وتراجعت معه ..

ونظرنا للشيء في نافذة القطر

* * *

كان بالفعل أقرب إلى الخطوط هلامية لا حدود
لمعالمه كان يذوب ويتجمد بسرعة لا تصدق

دالت هناك انعكاسا مئات الانعكاسات
تترقرق على جسمه الفزج وكل منها ينير الرعب
في بسبنا الرعب والعنابي

يسبون أن لكل نفس الآن هكذا فلهم ماشع
به (جوياب) التي تأتي حين فتح الصندوق ووجد
هذا الشيء يتقرقر أمامه

أخرج (هي - تشو - كان) مسبسه، وثبت
براعه جيذا ثم أطلق ثلاث طلقات على الجسم
في النافذة

بالطبع لم يحدث شيء كمن يطلق الرصاص
على موج قهر ..

لكن أجزاء انفصلت من هذا الشيء المقزور
أجزاء تتحرك بالاحوال التي التصقت بما تبقى

من زجاج النافذة، وسرعان ما بدأت هذه الأجزاء
تكتسب مصاصات وأقدام بدورها، وراحت تحاول
الالتحام بككتلة الأم ..

قلت لكم أنني فهمت كيف استطاع (نوبلسون)
أن يصنع هذا الشيء في صندوق واحد إن أي
جرح منه - ولو في حجم قبضة اليد - يكفى
لبداء الكبوس من جديد ..

والآن يبدو قلب الشيء أكثر من النافذة
كس عبدة عن هلام ذاب فيه كل الدم الذي
سفكه وراحت أعصاب بشرية تسبح فيه كس
تسبح عصيات الخلية في (السيوبلترم)

لقد كان (نوبلسون) سعيد الحظ عام ١٩٤١،
لأنه وجد المحنوق مختلطا بالحجر الجيري ولم
يتحرك لكن (نوبلسون) رأى ما يكفى كس
يرتدب وكى يصنع الصخور كلها في صندوق مطلق
يلجكم

لم يكن (جويلما) سعيد لحظه مثله ، وكذا لم يكن (نوبالسون) حين دخل مخزن البضائع جاهلا ما عليه أن يتوقعه . إن العيونات المبهشة المباحة وسط القهلام تؤكد لى أنه كان تعين لحظه .

وكل السلكى الذى شربه ترى هل يسكر هذا الشيء ؟

وصاح (هن - تشو - كاي) وهو يتراجع متحطرا كالمر :

« هلم يا (رفعت) ! فلننظ ؟ »

قلت بون أن أبتكر من وقتلى

« هذا لن يكون ! »

* * *

وقلت له مغمرا ونظراته المدهشة تمرق :

« هذا الشيء يصعب تدميره ، ولو خرج من هنا لاستحل تدميره . إن كل طلقة تعطينا المزيد منه ، وعما قريب سيكون ممثحلا لن نجد كل أجزاءه فكر فى هذا إنه مارق لدخل القطر يحدث عا ، وهي فرصة نادرة لأننا نعرف جيدا أنه ما من جزء منه خارجه . إن قوباء كله هنا ، ولو أضعف الوقت فى الهرب فلن نجد حين نعود .. »

صمت ولم يطق . لقد وجد كلامى مقبعا ، وهو يأمل فى المزيد من التفسيات

قلت له وأنا أتحدثى عيه

« منتهجه إلى مخزن البضائع بحثا عن شيء يصلح . أما أنت فطيك أن نبعد تفكيره عن مفكرة العربة ! »

« هذا سهل ولكن كيف ؟ »

« عليك أن تعود إلى العربية عليك أن تدبثه
لا تقل لي كيف أنت كده (الناقاري)
الذي يجيد نقادى رذا المطر . وبخسه اصطفاك
فأر بأنمله . لكن لا تدعه بنفسك فكل هذا
مفهوم »

التمعت عشاء بلداء الأجيال لم يكن ممن
يخلصون للتضحية بحياتهم لأى سبب مهما كان .
هو فقط يكره أن يفعل هذا دون داع
ولم فكره بعيد التفكير . وهرعت - على قدر
ما استطعت من سرعة - إلى موخرة القطر

« (هن - نشو - كن) ١ »

« ماذا يا (ريك ات) ٢ »

« نعال وساعننى على الوصول إلى باب
الضياع ! إنه مرتفع عن الأرض أكثر من
الآزم »

هوع تحوى ، وحملنى من خصرى كما يحمل
قطفل نمبته ، وسرعان ما وجدت نفسى أتمسك
بناظر الباب

قال لى قبل أن أغيب بالدخل

« (ريك ات) .. ماذا لو كنت بعض أجزاءه
تنتظر بالدخل ٢ »

« عندها سأعرف ذلك متأخرا ١ »

وغبت عن عينيه لى للظلام .

لشطت قداحتى لأتبين موطن قدمى

رياء ! حقاً لم يكن المشهد مما يمسب خيال
لمراقفات لقد وقعت منبحة هنا منذ قليل ،
ولم أحب ما رأيت ، كما لم أهتم حقاً بما سمعت

كأنت الصنديق مبعثرة صنديق تحوى عظم
(إسمان بكين) فكنى (إسمان بكين) - استق
(إسمان بكين) ثروة كان سيوسيل لها لعب
أى عطر صونى ممن يبهون من اللتين .

وكانت هناك بقايا رجال (نوبالسون)

المرتزقة الذين باعوا حياتهم بالمال لكنهم لم
يحصلوا عليه كل ما سلوه هو وعد مؤجل
بالثراء .

واصلت البحث فى القمام فى ضوء الشعلة
للمراقص ..

ثمة صنديق كتب عليها (Expositive) (مفجر) ،
وهذا طبيعي بالنسبة لصنديق كانت تستعمل فى
عملية الحفر إزالة كهوف وشق جبل لكن
ما حفظها من السلامة بعد ثلاثين عاماً ٢ وبعد
كل الرطوبة التى ركتها فى قبو معهد (تشنتو) ٢



استعملت فى مبنى لاسان موزمبي رباد - حكامه يجرى مسندى
بنداسب خيال لفرافقالب لقد ولعب مذبحة هذا منذ قليل

لا أقل أن هذا الجزء قابل للتنفيذ .

ثم وقعت عياني على أجمل شيء تمنيت أن
أراه . حاوية كبيرة كتب عليها بالإنجليزية
واللهجاتية (جارولين) .

كان عبدها ثلاثاً ..

هذا ما أريد بالضبط ..

بقابل من جهد والحظ الحسن أستطيع أن

ثم عدت أأمل صناديق المفجرات أنفجرت
قد حصى ، ثم رحت أهشم الخشب المأكل لدى
يظف أحدها نحسست بأناملى وشعرت بتلك
الاصابع الباردة العظيمة المقراصة لغتراع
المرحوم (ألفريد نوبل) المبارك ينتظر منذ
ثلاثين عاماً ..

وبعد مرتجلة خشوت جيئ بالاصابع . ثم

جريت أول حاوية إلى الباب وركبتها بمساقى
لنسقط على الأرض ..

* * *

تمسك أيها (الزهرة الررفاء) تملكك !

تكرر الاختبار لذى حصنه فى سنوات اكتساب
لرجولة ، فى قهو النورس

كان ذلك هو الهول داته لكك انتصرت

لشراء التوقيت بمساق فوق المفعد ، وثمة
ممس طويل يتجه بحوله فتترجع وممس آخر
يجيء من الخلف تثب فوق المفعد إلى قوراء

ويعر شيلس مقينان فوق رأسك ليلتجم

كنت رأيت كيف يمسك هذين الممسكان بالشطش
وبشطرقه إلى نصفين رأيت كيف يتزعزع
الممس الأخرع والأرجس

الكتلة المخيفة تتشكل من جديد في شكل قم
ذي ثياب .. والأنياب تقطر بالدموع الأخضر ،
ومن حول القم تبرز عشرات العمسات كلها
تقولك إلى أعماق أعماق القم ..

ممس يحاول الالتفاف حول قدميك فتشب في
الهواء وتتعلق بصود معني هناك .. تتلرجح
وتهبط بعيداً ..

* * *

« كلنا اجترناه قبلك .. ليس الأمر مستحيلاً .. »
« لا تدع نهران ذهنك تخبّ ثاقبة واحدة ..
إن تلك الثاقبة ستكون الأخيرة .. »

* * *

ومن جديد امتزجت بالشهب والسدم والإلكترونات
في مداراتها المرمدية .. صرمت بعوضة تتلافي
الأكف القضة ، وصرمت ثعباناً متوتراً يرقد بين

الأعشاب ، وصرمت (نافاراي) كما ينبغي أن
يكون (نافاراي) ..

* * *

المادة الخضراء تغمر الجدران .. إن
لا جدران ..

المادة الخضراء تلوث الأرض .. إن لا أرض ..

المادة الخضراء تنتشر في الهواء .. إن لا هواء ..

ولن ذهب (رفعت) ؟ لن ذهب ؟

* * *

- « اخرج يا (هن - تشو - كان) ! »

تسمع الصوت وتنتظر إلى النافذة المهشمة
التي ابتعد عنها المسيح كما تمنيت ..

- « اخرج يا (هن - تشو - كان) لو كنت حياً ! »

تتقدم - كالمسهم - نحو القاذفة ، وأنت ترجو
الأيامها سوط آخر في أية لحظة ..

- « لخرج يا (هن - تشو - كان) ! فالانفجار
وشيك ! »

تكون جسدك كما يفعل القط .. وتنب من
القاذفة إلى الأرض ، وتواصل الدهرجة كالتلوج
فوق جبال وطله ..

ويكون آخر ما تراه هو (رفعت) .. وتتظر
للوراء فتجد الثيران تشتعل في بركة من سائل
ما تم رشه بغاية حول عربات القطار كلها ..

تنظر للوراء فتري أصابع كالمسبحات منتشرة
بانتظام تحت العربات ، وفي كل تجويف منها ..

وفي اللحظة التالية يبدأ الانفجار ..

ليس انفجاراً واحداً بل سلسلة طويلة منه ..

كل شيء ينفجر .. العربات ترتج .. بعضها
يشعل .. لكن قوة الانفجار لم تصل قط إلى حد
تدمير عربة منها ..

* * *

وفي النهاية وقلت - أنا (رفعت) - جوار
(هن - تشو - كان) نلهث ونهتدل النظرات ..
كنت أخرج على سافى التي هبطت عليها لكنني
سعيد ..

فبعد الله ! ما زال التوليد قائماً على الانفجار
بعد كل هذه الأحوال ..

كانت القار تتصاعد شائعة ومعها الدخان الأسود
الكثيف .. العربات تلحست وبدأ معطنها يلحظ
ويتجهد ..

سألت (هن - تشو) لاحقاً :

- « هل تعلمه ذلك ؟ »

كان صدره يعلو ويهبط بلا انقطاع ، لكنه
استطاع أن يقول :

« هل تجرؤ على الفتى لثرى ؟ »

« لا .. فى الواقع لا .. »

« إذن لنترحل من هنا قبل قدوم رجال الإنقاذ
والشرطة .. سيكون موقفنا فى غيبة الحرج
ألتذ .. »

ودون أن ننظر للوراء ابتعدنا ..

* * *

خاتمة

بعد يومين فارقت اليابان عتداً إلى مصر ..
اعتقد أن (هن - تشو - كان) لم ينتظر.
طويلاً قبل الرحيل إلى الصين ..

لقد غمرت عبارة محيطات ميناء (ناجويا) ،
ولم يكن على ظهرها شيء ذو قيمة .. لقد
وجدوا جثثاً ممزقة متفحمة فى العربات التى
انفصلت عن القطار وهم يرجعون حدوث عمل
إرهابى .. لقد اغتلت آثار إسان (يكون) للأبد ..
وإن كانت بعض العظام المشيمة المتفحمة التى
وجدوها تحمل سمات تشريعية خارقة للعادة ..
لكن ما تبقى منها لا يكفى للتأليح محددة ..

وقد سألت للكاهن الأخير قبل الرحيل :

« هل تلتصق للشيء حقاً ؟ »

« لا أفرى .. ولو كان الأمر بيدى لدغمت بقاياها
فى معزل عن الهواء .. ربما تحت الأرض بأموال .. لكنى

لا تصبه قدراً على البقاء حياً في تلك المحرقة ..
« ولئن تلك الثلاثة .. (أوشيمو) ؟ »

ابتلع ريقه ونظر بعيداً ، وقال :

« كنت في تعبئة الملاصقة لك .. لقد
تعرفت جنتها قبل أن أتى إلينا .. »
ساد الصمت هنيئاً ، ثم سأله :

« لقد لقد الصليبيون عظام رجلهم للأبد ..
« عليهم قبول الهزائم كما يقبل التمسك بالخيز
الجاف .. »

« على كل حال ، لقد خلقنا نجلحاً لا بأس به ،
وإن لم يشعر به أحد .. تخيل فتح هذه الصنفاق
في (اليابان) أو في (أمريكا) .. كانت أطراف
أكثر من اللازم مستطير قبل أن يعرف الناس
كيف يتخلصون من هذا الكابوس .. »
وصافحته في حرارة :

« دأغا يا (هن - تشو - كان) .. كالعادة كنت

كنت الكاهن الأخير الذي حطم نخيل القدرات لتحمل
البشرى .. »

« مازلت ثرثراً يا (ريفالات) .. إن كلمت لا
تضيف شيئاً إلى صدقتنا .. »

وكانت هذه نهاية لقائنا هذا .. تكن لقاءات
أخرى كانت تنتظرنا ، وكنا متفاهمين بعضي ،
لكني لا أجسر على القول إننا (قريب) .. هذا
الفتى قريب من المحاربين وحده ، فمن المفرور
الذي يزعم أنه علونه يوماً ؟

* * *

وحيث عدت من (اليابان) كانت بالتفكرى
قصة مسلية نوعاً ..

قصة يفتح أبطالها ويحطون ويلدغون ،
ويتهمون بالظلم ..

لكن هذه قصة أخرى .

« وفهد إسماعيل

القاهرة